إيران

دراسة عن
الثورة والدولة

د. وليد عبد الناصر

دار الشروق


إيران
دراسة عن
الثورة والدولة

الطبعة الأولى
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلّم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

د. وليد عبد الناصر



إيران

دراسة عن
الثورة والدولة

دار الشروق

الإهداء

إلى روح أمي الطاهرة ،
وهي التي علمتني أن « الحكمة ضالة المؤمن » وأن العلم الصحيح هو الذي ينفع البشر من خلال تحسين فهمهم لأحوالهم وللعالم من حولهم .

تقديم

لازلت أعتقد أن ما جرى فى إيران منذ قيام الثورة فيها حتى الآن، لم ينل حقه من التحليل الموضوعى لأسباب يطول الحديث عنها، فبرغم كثرة الكتابات حولها والدراسات بشأنها إلا أن طبيعة الأحداث وتوابعها، جعلت الأحكام عليها ذات طبيعة قيمية تتلون وفقا لمعتقدات أصحابها وتوجهاتهم الفكرية، وربما أهوائهم الشخصية. . فأصبحنا أمام كم هائل من الأبحاث التى تأخذ موقفا محددا من الثورة لا يعتمد ـ فى معظمه ـ على الجانب الموضوعى ولكنه يقف دائما على الحافة بين التأييد التام أو الرفض الكامل، وكلا الموقفين يعبر عن وجهة نظر تجافى الحقيقة وتبتعد عن الواقع، إذ أن بين الأبيض والأسود درجات متفاوتة لظلال مختلفة تقع بينها مراحل التقييم الموضوعى لذلك الحدث الضخم على مستويات العالم المعاصر. .

ونحن فى هذا الكتاب بصدد باحث جاد ينتمى إلى جيل الشباب ولكنه تجاوز مرحلته العمرية إلى درجة أرقى من النضج الفكرى والإحكام النظرى والدقة العلمية، تهيأت له بطول البحث وعمق الدراسة ومواصلة الطريق على امتداده دون التوقف عند درجة الدكتوراه التى حصل عليها منذ سنوات فى موضوع يقترب من دراسة العناصر الراهنة «للإسلام السياسى» بشكل وضعه بارتياح بين قائمة متميزة من أبناء جيله، تتمثل فى عدد من الباحثين المرموقين الذين يحاولون اثراء المكتبة السياسية بعديد من المؤلفات والكتابات التى تفتح آفاقا رحبة للبحث العلمى، وتطرق أبوابا جديدة للتحليل السياسى، وتعطى مساحات واسعة لحرية الفكر وموضوعية الرأى ووضوح الرؤية.

وواقع الأمر أن الكتابة عن إيران ـ حكما وسياسة ـ تثير الاهتمام الواعى سعيا نحو تقييم تلك الثورة الإسلامية بكل ما لها وما عليها، لأن آثارها لا تقف عند حدود الدولة

الإيرانيـة ولكنها تتجـاوز ذلك إلى تـأثيرات أكبر تحتوى منطقـة الخليج وتمتـد إلى الشرق الأوسط كله، وتترك بصمات قوية على رؤية الآخرين لصورة الإسلام والمسلمين فى عيون العصر، كما أن العديد من أحداثها أصبحت رموزا فـرضت نفسها على قاموس السياسة الدولية فى العقدين الأخرين، وأصبحت قاسما مشتركا فى العديد مـن الدراسات التى تتصل بالنظم السياسية أو العلاقات بين الأمم والثقافات . . بين الدول والشعوب .

دعنـى اهنئ الباحـث الدكتـور وليـد عبد النـاصر على همتـه الدراسيـة، وأمانتـه العلميـة، متمنيا لـه التوفيـق على صعيـدى الفكر والحـركة . . البحث الأكـاديمى والعمل الدبلوماسى . . متوقعا منه وله كل إضافة جادة، وإسهام مفيد، ورؤية ثاقبة، ووعى بآمال أمتـه وأهداف وطنه، فى عالم يتغير بصورة فاقـت كل التوقعات، وتجاوزت كافة الاحتمالات .

د. مصطفى الفقى

المقـدّمـة

شكلت الانتخابات السابعة لرئاسة الجمهوريـة الإسلامية الإيرانية، التى جرت يوم ٢٣ مايـو من هـذا العام، محطـة بالغـة الأهمية والـدلالة فى مسيرة الثـورة الإيرانيـة منذ انتصـارهـا فى فبراير ١٩٧٩م. ولا نعتقـد أن فى الأمـر مجافـاة للـواقع إذا قلنـا إن هـذه الانتخابـات قد تمثل نقطـة تحول نوعى، وذات طـابع تاريخى فى مسيرة هـذه الثورة عبر نتائجها التى كانت غير متوقعة، مـن جانب غالبية المراقبين والمحللين السياسيين حتى قبل بـدء العملية الانتخابيـة بأيام قليلـة . فجاءت الانتخـابات بحجة الإسـلام محمد خاتمى الوزيـر السابق ـ الـذى كان خارج الدائرة الضيقـة للسلطة منذ سنوات ــ رئيسا للجمهورية مدعوما من تيار اليسار الإسلامى ومعظم تيار الإعمار والبناء ـ المؤيد لسلفه رفسنجـانى ــ داخل النخبـة الحاكمة، وفى مـواجهة رئيـس المجلس (البرلمان) حجـة الإسلام على ناطق نورى المدعوم من الدوائر المحافظة فى صفوف هذه النخبة.

لقد حظيت هـذه الانتخابات باهتمام إقليمـى وعالمى غير مسبوق، منذ انتخـابات الرئاسـة الأولى التى جـرت فى ينايـر ١٩٨٠ . وثبت أن هـذاالاهتمام كان مستحقـا . إن أحدا لايمكنـه الادعاء بالقـدرة على التوقع بشكـل يقينى إلى أيـن ستتجه إيران بـرئاسة خاتمى؟ ولكن من المفترض أن الواقع السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى داخل إيران من جهة، ومتغيرات البيئتين الإقليمية والدوليـة المحيطتين بإيران ستتفاعل ضمن صيـغ ومعادلات بعضهـا سيشكـل تطورا وتعـديلا على مـاكـان سائدا حتـى الآن بينما البعض الآخر سيكـون مستحدثا وجديدا . وقد تفـرز هذه التفاعلات مشاهـد جديدة لإيران فيالداخل والخارج وهيتمر بمرحلة حاسمة من التحول من الثورة إلى الدولة، أى إلى تعميق مؤسسات الـدولة وتأصيل دورها على مستوى النظريـة والممارسة فى اطار من توازن تلـك السلطات، وضمان فـاعلية المشاركـة الشعبية . وقد يتطلـب ذلك مـراجعة للدستـور الإيرانـى فى مرحلـة لاحقة، أو حتى إعـادة بلورة لبعـض أسسه مثـل طبيعة سلطات « الفقيه» وحدودها وغير ذلك من المسائل.

وفى ضوء كل ماسبق ، يعتبر هذا الكتاب ــ وبحق ـ مساهمة ذات قيمة وفائدة فى هذا الوقت بالذات لمساعدة القارئ وكل من يقرأ باللغة العربية فى أى مكان بالعالم على فهم سيرة إيران الثورة فى أبرز معالمها وأهم محطاتها ، حتى وصول حجة الإسلام محمد خاتمى إلى سدة الرئاسة الإيرانية . ولا يقتصر هذا الفهم على القشور ومايبدو على السطح ، بل يتعمق فى أغوار الأحداث ليحللها ويربطها ببعضها البعض بمنهج موضوعى وعلمى ، نأمل أن يحظى بتقدير كل من يطلع عليه .

إن الدور السياسى للأديان يتحدد إلى حد كبير بناء على الأنظمة أو القوى التى تحمل لواء هذا الفكر الدينى أو ذاك ومصالحها ، والإطار السياسى ، والاقتصادى ، والثقافى ، والاجتماعى ، الذى تتحرك بداخله .

وقد تميزت الثورة الإيرانية منذ انتصارها فى فبراير ١٩٧٩ بالسعى لإعطاء صورتين داخلية وخارجية تعكسان مسارًا داخليا ودورا خارجيا يفترض اتساقهما مع الحس الرسالى الذى حملت الثورة لواءه .

وتناولت العديد من الكتابات الثورة الإيرانية وتاريخها وتطوراتها ، ورغم كثرة ماكتب وذكر عن ثورة ١٩٧٨ / ١٩٧٩ فى إيران ، فإن الكثير من جوانب هذه الثورة مازال بعيدًا عن تناول أيدى الباحثين . وضمن تلك الجوانب شخصيات لعبت أدوارا رئيسية سواء فى الإعداد للثورة ـ على المستويين الفكرى والسياسى ـ أو فى قيادتها ، أو فى المراحل التى تلت انتصار الثورة ، ومن هذه الشخصيات ماتتناوله دراسات منشورة فى هذا الكتاب ، وهما الخاصتان بكل من الدكتور على شريعتى (١٩٣٣ ــ ١٩٧٧) بآية الله سيد محمود طلقانى (١٩١١ ـ ١٩٧٩) .

ولاتأتى أهمية آراء المفكرين من الدور المركزى الذى لعبته فى حالة الثورة الإيرانية وما تلاها من تطورات سياسية ، وإنما تنبع أيضا من كون مختلف التيارات الموجودة ـ بشكل أو بآخر ــ فى سدة الحكم فى إيران بعد ثورة ١٩٧٩ / ١٩٧٨ ــ بمن فى ذلك الشخصيات ذات الدور القيادى ــ قد بلورت توجهاتها وتحديدا فى مجال السياسة الخارجية باعتبارها تفسيرات وشروحا متسقة مع آراء هؤلاء المفكرين ـ وفى مقدمتهم بلاشك الراحل آية الله الخمينى ـ بالإضافة إلى سعى تلك التيارات وقادتها إلى جعل آراء هؤلاء المفكرين السند الأيديولوجى للسياسات التى يتبنونها أو يروجون لها وبشكل خاص فى المجال الخارجى . وتلجأ تلك التيارات وأولئك القادة إلى أقوال الرموز الفكرية والسياسية بهدف إخفاء شرعية ، وبالتالى الحصول على دعم لمواقفهم ـ بما

يتضمن مـايتصل بـالقضايـا الخارجية ـ بينما يتهـم كل تيـار مخالفيه فى وجهـات النظر بالتخلى عن « فكر الثورة » ، وهو الموضوع الذى تتعـرض له الدراسة الثالثة الواردة بهذا الكتاب .

ورغم مايمكن أن يكون للمرء على الثورة الإيرانية وماتلاها من مسار من ملاحظات أو تحفظات أو انتقادات ، فـلاشك أن بقاء الثورة فى الحكم فى إيران يمثـل فى حد ذاته مصدر إلهام للعـديد مـن التيارات والقوى ذات النـزعات السيـاسة « الإسـلامية » عبر أنحاء العالم الإسـلامى ، وخاصة أن بعـض تلك التيارات والقوى قـد استعارت اللغة والشعارات التى كانت الثورة الإيرانية وماتمخض عنها من نظام سياسى أول من رفعها . وستتعرض الـدراسة الرابعة الـواردة بهذا الكتاب إلى ماذكـر عن علاقة إيـران بجماعات العنف السياسى فى البلدان الإسلامية .

وقد حدثت تطورات متعددة ومتلاحقة فى إيران جعلتها فى قلب الأحداث منذ عقد ونصف من الزمان . وقد جرت هـذه التطورات على أكثر من مستوى وفى أكثر من اتجاه ومازال الأمر محل جدل عما إذا كانت الثورة الإيرانية قـد أنجزت بالفعل مهام بناء الدولة ومـؤسساتها ومعـالم سيـاسـاتها الداخليـة والخارجيـة ، أم إنها لم تـزل دون اجتياز هـذه المرحلة ، وهو الأمر الذى يدفع بالبعض إلى اعتبار الثورة الإيرانية تقف على مفترق طرق هـام وبارز وربما يكـون حاسما أيضـا ، وهـو ماتتنـاولـه آخر الـدراسات الـواردة بهذا الكتاب . وتـزداد ـ برأينا ــ أهمية هذه الـدراسة ـ وغيرهـا من الدراسات الـواردة فى هذا الكتاب ــ أكثر وأكثـر فى ضوء الانتخـابات التشريعيـة التى جـرت فى إيران فى مـارس ١٩٩٦ ونتائجها ، وكذلك فى ظل نتيجة الانتخابات الرئاسية الأخيرة والتى أتت بحجة الإسلام محمد خـاتمى رئيسا للجمهورية . حيث إن كليهما سيكون لـه تأثير ذا دلالة على مسارات تطـور الثورة والـدولة فى إيران ــ على الصعيديـن الداخلى والخارجـى على حد سواء .

ويمثل هـذا الكتاب فى مجموعـه ـ وبكل مـايحويه من دراسـات ـ محاولة نـزعم أنها علمية وموضوعية وملتزمة فى آن واحد ـ لاستكمال حلقة جديدة من حلقات فهم الثورة الإيـرانيـة ومايتبعهـا مـن تحولات ، سـواء على مستـوى الفكر أم الأحـداث ، وبكـل انعكاساتها على الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية .

وليد عبد الناصر

الفصل الأول

الدكتور علي شريعتي وتجديد الفكر الإسلامي

رغم الإقرار بالتأثيرات العقائدية والايديولوجية المختلفة على أفكار وآراء المفكر الإيرانى الراحل الدكتور على شريعتى (١٩٣٣ ــ ١٩٧٧) وبخصوصية الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى نشأ وتطور فى إطارها هذا الفكر ، فإنه مما لاشك فيه أن الدكتور شريعتى قد لعب دورًا تاريخيا ليس فقط فى إحياء بل وإعادة تفسير الفكر الإسلامى ـ خاصة الشيعى ـ من منظور تجديدى .

أولا ـ خلفية تاريخية عن الدكتور على شريعتى

ولد الدكتور شريعتى فى قريه مازينان فى إقليم كفير الصحراوى الواقع شرق إيران عام ١٩٣٣ . وكان والده السيد محمد تقى شريعتى داعية إسلاميا أمضى أربعين عاما من حياته فى الدعوة للدين الإسلامى على أسس علمية وتقدمية ، وقد انضم لاحقا إلى حركة تحرير إيران ذات التوجه الإسلامى الإصلاحى والتنويرى أسسها كل من المهندس مهدى بازرجان وآية الله طلقانى . وقد تأثر الدكتور على شريعتى بأفكار والده [١] . وفى سن الثامنة عشرة ، عمل على شريعتى كمدرس بمدرسة ثانوية ، بينما كان يواصل دراسته فى كلية المعلمين فى مشهد ، وكان يقرأ بشكل مكثف ليتعلم اللغة الفرنسية ولغات أجنبية أخرى [٢] .

وفى نهاية الأربعينات ، انضم على ووالده إلى جماعة صغيرة من المثقفين سمّيت بجماعة « الاشتراكيين الذين يخشون الله » نهضت ـ خودا ـ باراستان سوسياليست » التى كانت إحدى أبرز الجماعات المعارضة لحكم الشاه عقب انقلاب عام ١٩٥٣ المعادى للدكتور مصدق [٣] . وشكل هذا الدور دليلا مبكرا على توجهات يسارية لدى الدكتور على شريعتى واستعداده لتقبل مفاهيم ذات جذور غربية مثل « الاشتراكية » وقبل مغادرته إيران إلى فرنسا فى منحة علمية لدراسة التاريخ وعلم الاجتماع الإسلامى عام ١٩٥٨ ، ترجم الدكتور على شريعتى إلى الفارسية كتاب « أبو ذر الغفارى » للكاتب المصرى عبد الحميد جودة السحار . وكان أبو ذر ـ كما هو معروف ــ أحد الصحابة الذين جاهدوا ضد التمايزين الاقتصادى والاجتماعى اللذين بدآ يظهران فى

المجتمع الإسلامى عقب وفاة الرسول - ﷺ -، وخاصة منذ بداية حكم معاوية بن أبى سفيان .

وفى باريس ، أمضى الدكتور على شريعتى فترة خمس سنوات ودرس الفلسفات السياسية الراديكالية ، وانضم إلى فرع حركة تحرير إيران فى باريس ، وساهم بمقالات فى النشرة التى كانت تصدرها جبهة التحرير الوطنى الجزائرية باللغة الفرنسية فى باريس أيضا . وكان اهتمام الدكتور شريعتى مرتكزا على العمل الفكرى وليس التحريض السياسى أو التظاهر أو إطلاق الشعارات ، وكلها ممارسات دأبت عليها المعارضة الإيرانية فى الخارج . ففى باريس ، قرأ شريعتى لفرانز فانون وتعلم منه أفكارا حول التغريب الثقافى والتأثيرات النفسية السلبية التى أتت بها الظاهرة الإمبريالية . كما تأثر الدكتور على شريعتى بعلم الاجتماع الماركسى وبالمستشرق ماسينيون وبفلاسفة ومنظرين ثوريين مثل جارودى وسارتر وجيفارا (٤) . وفى باريس اكتشف شريعتى أن أيا من الايديولوجيات التى درسها لاتستطيع أن تتفهم بشكل كامل واقع وخصوصية ظروف العالم الثالث عامة ، والعالم الإسلامى بشكل خاص .

وفى بداية عام ١٩٦٤ ، عاد شريعتى إلى إيران وتم اعتقاله فورا . وعقب تحقيق قصير سمح له بتدريس العلوم الإنسانية فى كلية الزراعة . إلا أنه فوجىء بعد فترة وجيزة بقبول تعيينه محاضرا فى قسم الاجتماع بجامعة مشهد ، كما كان يعطى عددا كبيرا من المحاضرات فى مؤسسات وأماكن متعددة عبر مختلف أرجاء إيران . وقد حضر عدد متزايد من طلاب المدارس العليا والجامعات الحديثة هذه المحاضرات - خاصة تلك التى كان يلقيها شريعتى فى قاعة « حسينية إرشاد » التى أنشاها أنصار حركة تحرير إيران عام ١٩٦٧ . ويجب على المرء ربط آراء شريعتى بمسألتين : الحضور المكثف لعملاء الاستخبارات الإيرانية (السافاك) فى صفوف مستمعيه ، ورغبة شريعتى فى أن تصل رسالته إلى أكبر عدد ممكن من الناس - خاصة الشباب . وفى عام ١٩٧٣ ، تعرض شريعتى للاعتقال ثم أفرج عنه فى مايو عام ١٩٧٧ ، نتيجة ضغوط الرأى العام العالمى وبشرط مغادرته لإيران (٥) . وقد ساهم اعتقال شريعتى فى انتشار أوسع لخطبه المسجلة على شرائط وكتاباته عبر إيران . وقد غادر على شريعتى إيران إلى لندن فى يونيو ثم توفى فجأة بعد عدة أيام من وصوله لندن ، إما بسبب أزمة قلبية كما ذكر النظام الشاهنشاهى ، أو نتيجة دس أحد عملاء السافاك له السم فى الطعام كما ذكر أنصاره والمعارضة الإيرانية حينذاك .

ثانيا ـ نظرية الدكتور شريعتى حول التاريخ والحضارة الإنسانية

عرف الدكتور على شريعتى التاريخ بوصفه « مسار على الجماهير الشعبية أن تسير فيه حتى تستطيع إعادة اكتشاف دورها ، وقيمها الحقيقية وحقوقها ، وبالتالى تحديد طبيعة ماتواجهه من كوارث ومن تسبب فيها من أعداء » . ومن خلال هذا الطريق تتمكن الجماهير فى نهاية الأمر من التغلب على نقاط ضعفها والإطاحة بالأنظمة والقوى التى تحول بينها وبين الحصول على السلطة والثروة وتحقيق العدالة (٦) .

وقد رأى الدكتور شريعتى فى آلاف السنين من التاريخ الإنسانى أجيالا من البشر تأتى وتذهب ، ولكن تبقى العبودية . وكان للتاريخ دائما موضوع واحد حسب شريعتى : التناقض المستمر والحرب الدائمة بين معسكرين متناقضين . وقد بدأت هذه الحرب منذ بدء الخليقة ، وستنتهى فقط بنهاية الزمان . فقد كانت البداية هى الصراع بين ولدى آدم عليه السلام : هابيل وقابيل . ولم يوافق شريعتى على التفسير التقليدى بأنه كان صراعا أخلاقيا بل رأى فيه صراعا طبقيا . وقد مثل هابيل معسكر الأخوة الإنسانية والملكية المشتركة لوسائل الإنتاج ، أى بإيجاز مثل المجتمع «التوحيدى » . وعلى الجانب الأخر ، مثل قابيل البدايات الأولى للملكية الفردية ـ ثم فيما بعد الاحتكارية ـ والتزييف الدينى ، والتعدّى على حقوق الآخرين والتفرقة بين الحكام والمحكومين . ومنذ هزيمة هابيل ساد معسكر قابيل وهياكله التاريخ الإنسانى(٧). وبعكس التفسير الماركسى ، فقد رأى شريعتى أن السلطة السياسية هى التى أتت بالملكية الخاصة ، وإن كان أقرّ بأن الأخيرة هى التى منحت الديمومة والشرعية للسلطة السياسية .

وقد أفرز هذا الصراع طبقتين : المستكبرون والمستضعفون ـ طبقا لرؤية شريعتى ـ أى الحكام والمحكومين . وقد استخدم كلا المعسكرين الدين : استخدمه معسكر قابيل كأداة للخداع ولتبرير الوضع القائم ، وللاستيلاء على السلطة السياسية والمنافع الاقتصادية والاجتماعية . أما معسكر هابيل فقد اعتبر الدين أداة للتوعية والعدل . . ولتبرير الثورة (٨) . ورغم أن الفارق بين المعسكرين هو فى الأساس اقتصادى / اجتماعى طبقا لتفسير شريعتى ـ وهو مماثل للتفسير الماركسى ـ فإنه بينما تحدث كارل ماركس عن خمس مراحل فى التاريخ الإنسانى ، فقد اكتفى شريعتى بالحديث عن معسكرين يضم الأول مراحل العبودية والإقطاع والرأسمالية ، بينما يضم الثانى الشيوعية البدائية والنهائية . وبالتالى فإن معيار التمييز عند شريعتى كان نمط الملكية ، وليس شكل

العلاقات الاجتماعية أو أدوات الإنتاج كما كان الحال عند ماركس .

وحسب شريعتى ، فقد احتكر معسكر قابيل كل شىء ــ مادى أو غير مادى ـ فى هذه الحياة . وقد عبر القرآن عن ممثلى هذا المعسكر فى قصة النبى موسى عليه السلام من خلال الثلاثى : فرعون رمز السلطة السياسية ، وقارون رمز الثروة الاقتصادية ، وهامان رمز المؤسسة الدينية الرسمية (٩) .

وإذا أردنا أن نغوص فى أعماق مفهوم الدكتور على شريعتى للتاريخ باعتباره صراعا طبقيا مستمرا ، فعلينا أن نشير إلى رؤيته النقدية للحضارات الإنسانية . فقد رأى شريعتى أن جماهير المستضعفين هى التى أقامت صروح هذه الحضارات ـ مثل أهرامات الجيزة فى مصر ــ إلا أن أحدا لم يذكر لهم هذا الدور ونسبت هذه الحضارات للطبقات الحاكمة التى مارست القمع ضد هذه الشعوب . وفى كل هذه الحضارات حارب المستضعفون بعضهم البعض عبر حدود وطنية دون وجود أسباب للعداء فيما بينهم ، وإنما حاربوا لحساب حماية مصالح قاهريهم ومستغليهم فى كل قطر ، حتى ولو على حساب مصالح المستضعفين أنفسهم (١٠) . ويستنتج شريعتى بالتالى أن حياة وازدهار هذه الحضارة تحققا فقط على حساب حياة البشر العاديين .

إلا أن الدكتور على شريعتى قد وجد تأثيرا إيجابيا لهذه الحضارات القديمة ، وهو أنها تذكر البشر دائما بأن الاستغلال والقهر والتمايز الطبقى هى ظواهر إنسانية دائمة يجب على البشرية محاربتها .

وقد انتقد شريعتى من أسماهم بـ « أنبياء الأرض » مثل بوذا وكونفوشيوس الذين زعموا أن لهم رسالة وأعطوا المستضعفين أملا فى الخلاص ، إلا أنهم سرعان ماتخلوا عن رسالاتهم وخانوا ثقة جماهيرهم ، وإما تخلوا عن الحياة الدنيا أو اتجهوا ناحية القصور ، أى انحازوا لجانب الأغنياء . وقد استمر ــ بل تزايد ـ الاستغلال ، لأنه كان على المستضعفين مع أولئك « الأنبياء » أن يحملوا مزيدا من الحجارة لبناء المعابد بجانب القصور ، وأن يحاربوا حروبا دينية بجانب الحروب السياسية ، ولم يجنوا من أى منها فوائد تذكر. وقد أصبح الكهان جزءا من الطبقة التى تمارس القمع والاستغلال (١١) .

ويرى شريعتى أنه عندما اقترب الفقراء من نقطة الاقتناع بأن « الإله » يحتقرهم ، أرسل الله رسول الإسلام ـ ﷺ ـ ليعلن أن الله يعد عباده المحرومين المقهورين على الأرض الخلاص والرحمة والبركات ، ويعدهم بأنهم سيكونون ورثة الأرض . وعندئذ اتبع العبيد

وكل من تعرض للاستغلال الدين الإسلامي وعاش الرسول ﷺ ـ عاملا فى إطار من المؤمنين العاملين . إلا أنه بعد وفاة الرسول اندلعت حروب مقدسة جديدة باسم الإسلام وموجهة ضد المستضعفين ومن يدافع عنهم ، وفى مقدمتهم الإمام على ابن أبى طالب الذى تعرض هو وأهل بيته للمذابح (١٢) . وهنا تبرز بوضوح الخصوصية الشيعية فى فكر على شريعتى .

ويرى شريعتى أن المساجد الفاخرة التى بدأت تبنى على حساب الفقراء ماهى إلاّ معابد جديدة ، وتعرض أبناء وبنات المحرومين للاستعباد على أيدى الأرستقراطية القبلية القريشية والتى سبق للرسول ـ ﷺ ـ فى رأى شريعتى ـ أن حارب ضدها . واعتبرت تلك الأرستقراطية نفسها وريثة النبى ، أى صاحبة الحق فى السلطة والثروة . ومنذ ذلك الوقت بدأ حكام المسلمين فى اعتبار أنفسهم خلفاء الله على أرضه ، مؤيدين فى ذلك من قبل مؤسسة دينية رسمية وانتهازية ، واتجه الحكام والعلماء الموالون لهم إلى قمع عامة المسلمين تحت شعار تطبيق شريعة الله ورسوله (١٣) . إلا أن شريعتى عبر عن اقتناعه بأن الفقراء نجحوا فى الحفاظ على التفسير الصحيح للإسلام الذين آمنوا به ودافعوا عنه : أى تفسير أبى ذر الغفارى (١٤) . وهنا يظهر أن شريعتى ـ ورغم تأثره البالغ بخصوصيته الشيعية ـ بات متفتحا على شخصيات تاريخية إسلامية من خارج صفوف الشيعة مثل أبى ذر .

واعتبر شريعتى أن نفس القاعدة سرت على التشيع . فرغم بدايته كصرخة ثورة فى وجه تفسير الأمويين الفاسد للإسلام ، فقد تحول التشيع إلى معسكرين : التشيع العلوى الثورى والمناضل من أجل العدالة كما مثله الإمام على ، والإمام الحسين وبقية أئمة الشيعة ، والتشيع الصفوى ـ نسبة إلى الأسرة الصفوية التى حكمت إيران فى القرن الخامس عشر الميلادى ـ والتى جعلت من التشيع دينا شعائريا له مؤسسة رسمية من رجال الدين تبرر الممارسات القمعية والاستغلالية لحكم الأسرة الصفوية . وقد حوّل الصفويون التشيع من دين معنى بالمسائل السياسية والاجتماعية إلى دين مقتصر على تناول الدار الآخرة (١٥) . وقد منح شريعتى هذا التشيع الصفوى نفس اللقب الذى منحه كارل ماركس للأديان بصفة عامة : إنه أفيون الشعوب .

وقد استمرت انتقادات الدكتور شريعتى للحضارات الإنسانية لتشمل ـ وكما هو متوقع من مفكر إسلامى ـ الحضارة الغربية . وركز فى هذا السياق على نظم التعليم الحديثة التى تنتزع البشر من إنسانيتهم وتحصر اهتماماتهم فى المكاسب المالية وعبادة

أشخاص آخرين وتحولهم إلى أدوات للنظريات « العلمية » الحديثة . فتحت شعار «الحرية » حرضت الحضارة الغربية البشر على التخلص من أى مسئولية إنسانية أو اجتماعية أو أى قناعات عقائدية . وقد رأى شريعتى فى الحضارة الغربية الحديثة استمرارا لنفس أمراض الحضارات القديمة ، خاصة تجزئة المستضعفين والحروب فيما بينهم لصالح رخاء النخب الحاكمة ، رغم أن ولاءاتهم الايديولوجية قد تكون فى حقيقة الأمر متماثلة . وفى ظل الحضارة الغربية الحديثة ، لاتتعرض الجماهير فقط للاستغلال ، إنما المثقفون أيضا . فقد تحول المثقفون إلى خدم للأنظمة القمعية ، وللأثرياء ، وللآلات ، ويقدمون هذه الخدمات على حساب حياة الجماهير التى كان من المفترض أن يدافع المثقفون عنها (١٦) .

ثالثا ـ رؤية الدكتور شريعتى للعلاقة بين النظرية والتغيير الاجتماعى

اعتبر شريعتى أن التغيير العقائدى هو شرط مسبق لتحقيق التغيير الاجتماعى . فالتغيير يجب أن يتبلور أولا فى ضمير البشر وإلا فإنه لن يتخذ أبدا شكل حركة اجتماعية . وقد رأى شريعتى فى التشيع العلوى دروسا بضرورة الإعداد المعنوى والعقائدى والروحى للتغيير ، كما وجد فيه تأكيدا على أهمية « الإيمان » بحتمية انتصار العدالة وانتهاء القهر على أيدى حركة الجماهير التى تسرع من حركة التاريخ . وبالمقابل ، عبر الدكتور شريعتى عن وجهة نظره بأن الثورية والتقدمية على المستوى الفكرى تبقيان بلا قيمة إذا لم ينعكسا على مستوى المسئولية والالتزام الاجتماعيين للمثقف وعلى مستوى حركته السياسية (١٧) . وبالتالى عبر شريعتى عن اقتناع بجدلية التفاعل والعلاقة بين البنيه الفوقية والبنية التحتية : بين النظرية والمجتمع .

وبالنسبة لشريعتى ، كان الإسلام هو ايديولوجية التغيير : الإسلام كرؤية شاملة للعالم وللواقع ، وكمنهج لإخراج ما بداخل الإنسان من إبداع ونزوع نحو الكمال ـ على المستويين الفردى والجماعى . فالإسلام يدفع بالإنسان الذى خلقه الله من الطين والروح بعيدا عن الطين وصعودا نحو الروح : أى نحو الكمال ، فى إطار عملية متواصلة لتحرير الذات والمجتمع . فقد آمن شريعتى بأن الكمال الفردى لن يتحقق بمعزل عن الكمال الجماعى (١٨) .

وفيما يتعلق بشعوب العالم الثالث بصفة عامة ، فقد اعتبر د . شريعتى أن المهمة الأولى أمامهم هى إحياء هويتهم الثقافية المتميزة التى يشكل الدين ركيزتها الأساسية . وفيما يتصل بالمسلمين بشكل خاص ـ بمن فى ذلك الشعب الإيرانى ـ فإن

العقيدة الحقيقية التى يجب أن يتبعها الأفراد هـى الإسلام « التوحيدى » . وقد استخدم الدكتور شريعتـى « التوحيد » هنا ليـس بشكله التقليدى أى الإيمان بالله الـواحد ، بل أيضا امتد هذا المفهوم لدى شريعتى ليعنـى أن الله الواحد خلق على الأرض ما يعبرّ عن وحدانيته : أى الإنسانية الواحدة دون أى تمايزات أو تناقضات ـ سواء قانونية أو طبقية أو عرقية أو اجتماعية [١٩] . ورأى شريعتى أن أى مجتمع يتبع العقيدة التوحيدية سيسير على نفس النهج الذى سارت عليه الأمة الإسلامية فى عهد الرسول ـ ﷺ ـ ، وهو الحركة المستمرة نحـو العدالة والنضـال المشترك من أجل الأخوة الإنسـانية والاقتصاديـة ونحو الملكية العامـة لوسائل الانتاج والمجتمـع اللاطبقى [٢٠] . وقد قـدم الدكتـور شريعتى سببين لـدعم وجهـة نظره بـأن الإسلام يجب أن يكـون ايـديولـوجية الشـورة : الأول أن المجتمع الإيرانى مجتمع متدين يشارك جميع أبنـائه فى المعتقدات والوعى الدينى ، وثانيا أن الإسلام هو الـذى ألهم الرسول ـ ﷺ ـ الثورة ضد الارستقراطيـة وملاك العبيد وتجار قريش الأثرياء [٢١] .

فالايـديولـوجية الإسـلامية ـ فى رأى شريعتى ـ هى القـادرة على بناء مجتمـع مثالى وبالتـالى إنسان مثالى . وسيعكـس هذا المجتمع وحده الفكـر والحركة بشكل متكـامل وليس متنـاقضا ، ويجمع بين الـروحى والمادى بشكـل منسجم كما يوحـد بين الإنسان ومجتمعه والكـون بأسره فى اتجاه الكمال . وقـد أمل الـدكتور على شريعتـى فى أن يصبح علم الاجتماع الإسـلامى الذى عمل على تطـويره أداة لتحليل الايـديولوجية الإسـلامية ولفهم المجتمعات الإسلامية المعاصرة ـ خاصة المجتمع الإيـرانى ـ وتقرير ماتحتاجه من إصلاح وتغيير على أساس العقائد والمبادئ الإسلامية [٢٢] .

وقد تطلب تصور شريعتى للايديولوجية الإسلامية مجهودا كبيرا منه فى إعادة تعريف المفاهيم الشيعيـة الأساسية حتى تعكس رسـالة الإسلام الثورية كما طـرحها شريعتى . ويجب أن نذكر هنا بتفرقة شريعتى بين التشيع العلوى والتشيع الصفوى المشوش .

ففيما يتصل بمفهوم « الإمامة » ، رفض الدكتور على شريعتى التفسير الصفوى لهذا المفهوم باعتبـار الإمام إلها صغيرا أو كائنا خارقا للعـادة ، أو وسيطا بين البشر والإله ، ورفض تأجيل مناقشة كافة المسائل العامة حتى عودة الإمام . وبالمقابل ، دعا شريعتى إلى تنشيـط الدور السيـاسـى للجماهير، وذلك استعـداداً لعـودة الإمـام الثانـى عشر (الغائب)حتى يشعـر بالسعادة حين عودته من الغيبـة عندما يرى أتباعـه يقلدون مثال الإمـام على ويحاربون مـن أجل العـدالة . ورأى شريعتـى أنه فى ظـل غياب الإمـام على

الجماهير واجب وحق تقرير أوضاعهم الروحية والاجتماعية تحت قيادة مستنيرة ومؤمنة ونقية (٢٣).

وقد هاجم شريعتي أيضا التفسير الصفوى لمفهوم « التقليد » بما يعنى الطاعة العمياء والامتيازات الخاصة لطبقة علماء الدين والإقرار باحتكارهم تفسير المذاهب الشيعية . وهنا يقف شريعتي بوضوح ضد الوضع المؤسسى لرجال الدين وأى امتيازات يحصلون عليها . كما يفسر شريعتي مفهوم « العدل » باعتبار أن الإيمان بالله « العادل » يستوجب نضال المجتمعات الإنسانية ضد الحكومات أو الأوضاع الظالمة . وقد رفض التفسير الصفوى لـ « العدل » باعتبار تنفيذه مؤجلا إلى الدار الآخرة تاركا هذه الحياة للحكام ـ مهما كانت درجة فسادهم ـ وباقيا فى حالة « انتظار » (وهو مفهوم شيعى آخر يعنى انتظار عودة الإمام الغائب) .

كذلك اعتبر الدكتور شريعتي احتفالات شهر المحرم الشيعية الخاصة بإحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين تحمل رسالة واحدة : واجب كافة الشيعة بالنضال ضد الإمبريالية ، والصهيونية ، والمؤسسات عبر الوطنية ، والعنصرية والقهر الطبقى والاستغلال . فحسب شريعتي احتفالات المحرم ليست صرخة من أجل الحسين الضحية الفقيرة ، ولكن من أجل الحسين الذى حارب واستشهد من أجل العدالة ، ومثل حق الإنسان غير القابل للتصرف فى المقاومة ، وأعطى المسلمين درسا فى مقاومة الخداع والتغريب والعلماء المزيفين والنماذج الدخيلة (٢٤) .

ونلحظ أن إعادة تفسير الدكتور شريعتي لبعض المفاهيم الشيعية الأساسية جاء مختلفا إلى حد كبير عن تفسيرات الاتجاه العام للمؤسسة الدينية الشيعية . وفى كل ماطرحه شريعتي من تفسيرات ، أكد على أهمية المسئولية الاجتماعية والتغيير الثورى فى إطار إعادة تفسير المفاهيم ـ بل والمنطق ـ الإسلامى ذاته .

رابعا ـ تصور شريعتي للمجتمع التوحيدى

المجتمع « التوحيدى » هو نموذج المجتمع المثالى فى رأى شريعتي . وهو يتصف بتعميق الجذور المعنوية والأخلاقية فى عقول أفراده كضمانة وحيدة ضد الاستبداد والانتهازية ، وكوسيلة لتحرير الإنسان من قيود الرغبات المادية والمصالح الخاصة . ولا تقتصر المساواة فى المجتمع « التوحيدى » على الناحية المادية ، بل امتدت لتصبح تعبيرا عن أخوة إنسانية . وسينشأ فى هذا المجتمع أيضا نظام عادل للإنتاج والتوزيع ،

وسيصبح العمل هـو الوسيلة الوحيـدة لاكتساب الرزق فى الدنيـا ولتحقيق السعادة فى الدار الآخرة حيث اعتبر الله العمل الشريف عبادة فى حد ذاته . وفى المجتمع التوحيدى سيختفى الجشع وتسـود الحرية الروحية ، وبالتالى عبـادة الله . كما سيتم احترام حقوق الإنسان وحرية الفكر باعتبار الكرامة الإنسانية ترقى على السياسة . كما سيختفى وجود المعتقلين السياسيين والبيروقراطيات المتجمدة وحكم الحزب الواحد أو الطبقة الواحدة . وركز شريعتى هجومه على المجتمعات التى تسودها دكتاتورية الحزب الواحد التى غالبا ماتنتهـى بديكتاتوريـة الشخص الواحد الـذى يملك كل سبل الحيـاة للبشر ويحط من كرامتهم وحقوقهم . وذهب شريعتى إلى حد القول بأنه فى المجتمع التوحيدى سيسمح لمن يعـارضون الله والأديـان أو يشككون فى صحـة المعتقدات الـدينية للحكـام بالحيـاة وبالتعبير عن آرائهم (٢٥) .

ورغم أن تصور الـدكتور على شريعتى للمجتمع التوحيـدى يتصف بالمثاليـة ، فإنه لايذكر لنا بالتفصيل كيف سيتخلص المجتمـع « التوحيدى » من سيطرة البيروقراطية ، أو الحزب ، أو الطبقة أو الفـرد . كما لايقدم أى ضمانـات قانونيـة مؤسسيـة بشأن تحول المجتمع إلى المرحلة اللاطبقية .

خامسا ـ النخبة والجماهير والقيادة فى تصور شريعتى

رأى شريعتى أن طليعة المثقفين (رشا نفكران) هى الجديرة بقيادة التغيير الثورى . وقد فضل شريعتى فى هذا السياق المثقفين التقدميين الإسلاميين على العلماء التقليديين والمثقفين الماركسيين والعامة من المسلمين . ففى رأى شريعتى ، فإن المثقفين الإسلاميين التقدميين هم وحدهـم القادرون على تحليل الواقع الإسلامـى مستخدمين لغة تكون فى وقت واحـد مفهومة للجماهير وكـافية لتقديـم تفسير شامـل لهذا الواقع مـع استخدام أدوات تحليل غربية (٢٦) . إلا أن الـدكتـور على شريعتـى لم يستبعـد تضمين العلماء التقدميين المستنيرين ضمـن « الطليعة » التى اقترحها . وقد جاء مفهـوم شريعتى حول الطليعة قـريبا من مفاهيـم مماثلة طـورها من قبـل لينين فى إطار الحركة الشيوعيـة وسيد قطب فى إطار الحركة الإسلامية . إلا أن مفهـوم شريعتى يقترب أكثر من مفهوم لينين فى ضوء حـديثه عـن « الدور التقـدمى والثـورى » لهذه الطليعة . إلا أن شريعتـى لم يحدد تفصيلا الشكل التنظيمى الـذى ستأخذه الطليعة ـ وخاصة فى ظـل رفضه الذى سبق ذكره لحكم الحزب الواحد .

وقد طالب شريعتى هذه الطليعة بأداء وظيفة مزدوجة : أولا إعادة اكتشاف الايديولوجية والمنهج واللغة السياسية للإسلام والتطبع بها . وفى إطار هذه العملية على المثقفين الإسلاميين التقدميين التخلى عن ولاءاتهم الطبقية ، سواء كانت للطبقة العليا أو الوسطى ، والنضال ضد التمايز الطبقى والانضمام إلى صفوف المستضعفين . فقد اعتبر شريعتى أن شخصا ثوريا وذا وعى اجتماعى هو وحده القادر على الحفاظ على ولائه للتغيير الاجتماعى . وطالب شريعتى هؤلاء المثقفين أيضا بالتحرر من التقاليد والعادات التى تعيق التحول الإسلامى الاجتماعى . وآمن بضرورة انغماس هؤلاء المثقفين بشكل مافى النضال وإلا تحولت كتاباتهم إلى أفكار أكاديمية بلا قيمة للآخرين بدلا من التفاعل مع واقع النضال [٢٧] .

أما الوظيفة الثانية لهذه الطليعة فهى قيادة الجماهير فى الثورة المزدوجة التى عليهم المرور بها لتحقيق التحرير الشامل : الثورة الوطنية لإنهاء كافة أشكال السيطرة الأجنبية وإحياء الإرث الثقافى والهوية الوطنية للأمة : أى الإسلام . والثورة الثانية هى الاجتماعية لإنهاء كافة أشكال الاستغلال من خلال القضاء على الرأسمالية وإنشاء المجتمع « التوحيدى » [٢٨] .

وقد حصر شريعتى مهمة قيادة الثورة الاجتماعية فى(الروشا نفكران) بسبب ما اعتقده من قدرتهم على إدراك التناقضات الداخلية للمجتمع من جهة ، خاصة التناقضات الطبقية ، ورفع درجة الوعى لدى الجماهير فى الاتجاه الصحيح من جهة أخرى . بل إنه ذهب إلى حد اعتبار هؤلاء المثقفين وحدهم القادرين على تقديم التفسير الصحيح للإسلام، نظرا لأن شريعتى رأى أن الأفعال وليست التقوى السلبية هى علامة الإيمان الصحيح ، وإن الثوريين هم مسلمون أفضل من أولئك المتفقهين فى شئون دينهم ، ولكنهم يتبنون مواقف محافظة فى المجالين السياسى والاجتماعى . بل إن تعريف شريعتى للمسلم لم يقصره على الإيمان الذاتى بالله ، ولكن بقدرته على المشاركة فى النضال من أجل الحق [٢٩] .

وعقب أداء طليعة المثقفين لهذه المهمة المزدوجة ، دعاها الدكتور على شريعتى إلى أن تشكل ـ عقب انتصار الثورة ـ جماعة منظمة تتمتع بديمقراطية داخلية وبرنامج ثورى وتقدمى لمواصلة التغيير الاجتماعى وصولا إلى إنشاء المجتمع التوحيدى . إلا أن شريعتى عبر عن دعوته إلى أن يتم انتخاب هذه الجماعة بواسطة الشعب . وأعطى هذه الجماعة واجب استنباط حلول إسلامية لمشاكل البشر واختيار الأكثر استنارة من بين

صفوفها ليكون القائد ، وأعطاها حق قمع كافة معارضى النهج الإسلامى ومن يحاولون إفساد المجتمع أو سوء استخدام السلطة أو الثروة (٣٠) .

ورغم محاولة شريعتى هذه لبلورة شكل وهيكل الجماعة التى ستكونها طليعة المثقفين ودعوتـه لحتمية قيـادة تلك الطليعـة للتغيير ، فإن مفهـوم الطليعة هـذا ـ وكما أثبتـت التجارب الإنسانية السابقة ـ يحمل فى طياته خطر التحول إلى نظام حزب واحد مستبد ـ وهو أمـر نهى عنه شريعتى . ورغم محاولـة طرح ضمانات تحول دون انتقـال الطليعة إلى مرحلـة الاستبداد مـن خلال الدعـوة إلى انتخاب تلك الطليعـة ، فإن التسـاؤل الذى يطرح نفســه هو : هل تمنـح الطليعة لـ « عـامة المسلمين » حـق الحكم عليها وتقـرير أمرهـا؟ ومرة أخرى ، تميـل التجارب الإنسانية السـابقة بصفة عـامة إلى إعطاء إجـابة سلبية على هذا التسـاؤل ، وتصبح ضمانات الدكتـور شريعتى أكثر عرضـة للانتقاد فى ضوء الحق الذى منحه للطليعة لقمع أى معـارضة لها ـ بما قد يمتد ليسرى على قمع أى نوع من الرقابة الشعبية .

وبعـد توضيـح الأولويـة التى أعطـاهـا شريعتى لـدور الطليعة فى عمليتـى التغيير والتحـول ، فإنـه مـن العدل عـرض الـوجـه الآخر للعملـة أى تصـور شريعتى لـدور الجماهير، فقد دعـا شريعتى طليعـة المثقفين إلى التفاعـل مع الجماهير والعمـل على رفع وعيها بدلا من الانعزال عنها . وربما يكـون شريعتى قد حاول من وراء ذلك الحث على تجنب تحول الطليعة إلى إطار بيروقـراطى ـ مرة أخرى كما حدث فى تجارب سـابقة . وقد فسر شريعتى الإشارة المتكررة فى القرآن الكريـم إلى تعبير « الناس» باعتبار أن الله جعل الناس ــ أى الشعب ـ مسئولين عن مستقبلهم ، وبـالتالى أقـربهم كعامل أسـاسى فى تحقيق التغيير الاجتماعى . وقد اتفق الدكتور شريعتى مع التقليديين فى القول بأن هناك قـوانين إلهية ثـابتة لاتتبـدل فى هذا العـالم ، وهـى ماتسمـى بـ« سنـة الله » . وطالـب الشعوب بأن تكتسب وعيـا بهذه السنن من جهة وبواقعها الاجتماعـى من جهة أخرى حتى توظف هذه « السنن » لصالح تقدمها من خلال النضال المستمر (٣١) .

بـالإضافـة إلى ذلـك ، فإن شريعتـى رأى أن الله خاطـب البشر فى القـرآن بوصـف «الناس» أى بوصفهم كيانًـا واحدًا ـ بدون تمييز ـ ولذلك على هـؤلاء الناس النضال من أجل تحقيق هذه الدعوة وإنشـاء مجتمع توحيدى لاطبقى (٣٢) . كذلك فسرّ شريعتى الآيـات القرآنيـة التى تتصـل بالمسـائل الاجتماعية بـاعتبارهـا تستخدم كلمتـى « الله » و«الناس » بشكل تبـادلى : فإذا كان الحكم ملكـا لله ، فهو ملك للناس كلهـم وليس

للحكام المستكبرين ، وإذا كانت الثروة ملكا لله ، فهى أيضا ملك للناس بأسرهم وليس للرأسماليين المستغلين ، بل إن شريعتى يذهب إلى حد القول بأنه إذا كان الدين نفسه جاء من عند الله ، فهو ملك لعامة المسلمين وليس للمؤسسة الدينية الرسمية المحافظة (٣٣) .

وحتى تكتمل الصورة بالنسبة لتصور شريعتى لأدوار مختلف اللاعبين فى إطار عملية التحول السياسى والاجتماعى ، سنعرض هنا للجانب الثالث ـ بعد الطليعة والجماهير ـ ألا وهو القيادة . فقد آمن الدكتور على شريعتى أنه فى المجتمعات المتخلفة يلعب الأفراد ـ خاصة القادة ـ دورا حاسما فى تحقيق التغيير (٣٤) . إلا أن دور القيادة عند شريعتى يبقى محكوما بآرائه بشأن الطليعة . وقد أعطى مثلين إسلاميين للقادة من منظور تاريخى ، وهما الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى رضى الله عنه ، والإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . وهنا ـ مرة أخرى ـ يختلف شريعتى عن التيار العام التقليدى للفكر الشيعى الذى يحصر أمثلة القيادة النموذجية فى شخصيات أئمة الشيعة ، ويتحدث شريعتى عن شخصية سنية هى أبى ذر .

فقد رأى شريعتى فى أبى ذر مناضلا ضد تزييف النموذج الإسلامى المثالى بالشكل الذى حدث فى عصر الأسرة الأموية ، واعتبره رمزا للصراع المستمر بين العدل والظلم ، ورأى فيه تجسيدا للإنسان المسلم الكامل (٣٥) . وبالنسبة للإمام على ، فقد أمضى حياته مناضلا ضد المستغلين وضد التمييز بين البشر ، ومع المحرومين والفقراء ودفاعا عن الثروة العامة ، ورفع راية المساواة بين البشر فى ملكيتهم لوسائل الإنتاج وفى تناسب معدلات استهلاكهم ودخولهم مع مايقومون به من عمل . ويرى شريعتى أن الإمام عليا حاول من خلال هذه المواقف توفير الضمانات لبناء مجتمع توحيدى . وينوّه الدكتور شريعتى بشكل خاص برفض الإمام على لتبرير حرمان الطبقات الدنيا على أى أسس دينية ، وباستخدامه الدين كأداة لخلاص هذه الطبقات ، وبكونه لم يحمل السيف دفاعا عن نفسه وعائلته وجماعته العرقية ، بل لتحرير الإنسانية بأكملها على المستويين الروحى والمادى . فقد تحدث الإمام على عن « الله » المؤيد للمؤمنين الفقراء وليس للسادة المستكبرين . كما يتحدث الدكتور على شريعتى عن الإمام على باعتباره رجلا عادلا وأن ورثته هم حملة الرايه الحمراء : راية المستضعفين . ويذكّر الدكتور شريعتى مستمعيه وقراءه بأن أصحاب القصور (فى إشارة إلى الحكام) والمعابد (فى إشارة إلى المؤسسة الدينية الرسمية) وكانزى الثروات هم الذين خانوا الإمام عليا ، بينما

بقيت الطبقات المحرومة على ولائها له . وتميز الإمام على بالجمع بين وضوح وشمولية الرؤية العقائدية والعمل الثورى ، كما عمل بيده لاكتساب رزقه وحمل القرآن باليد الأخرى (٣٦). وقد رأى الدكتور شريعتى فى كل هذه الخصائص للإمام على شيئا واحدا : إن الإمام عليا كان مؤمنا حقيقيا وأعرب عن الأمل فى أن يتخذ قادة التحولات الجذرية والمجتمع التوحيدى من الإمام على مثلا أعلى للاقتداء به . وهنا تبرز مرة أخرى غلبة الخصوصية الشيعية على الأطر المرجعية فى فكر شريعتى السياسى .

ولاشك أن الدكتور على شريعتى قد قدم تصورا متعمقا وشاملا لدور الطليعة والجماهير والقيادة فى إطار عملية التحول السياسى والاجتماعى ، إلا أن الروابط فيما بين تلك الأطراف الثلاثة كانت الحلقة الأضعف فى طرح شريعتى ، كما أنها اتسمت بقدر كبير من المثالية يناقض دروس التجارب التاريخية السابقة ، بل والطبيعة الإنسانية ذاتها . ولم يقدم شريعتى ضمانات كافية لتحقيق التوازن بين تلك الأطراف الثلاثة .

سادسا ـ شريعتى والمؤسسة الدينية الرسمية

من اللافت للنظر أن شريعتى مال إلى استبعاد رجال الدين من الطليعة التى طرحها ، وفضل عليهم مثقفين إسلاميين من غير صفوف رجال الدين ، ولاشك أن قطاعات من المؤسسة الدينية كانت تحمل آراء سلبية تجاه شريعتى وفكره ، فقد انتقدوا فيه الانتقال فى شروحه من العلوم الاجتماعية الغربية إلى الإسلام بدلا من العكس . ورغم أن مجمل محتوى كتابات شريعتى هو موضوع دينى ، فإنه لاشك أن أسلوب شريعتى وطريقة صياغته لأفكاره كانا غير تقليديين ــ ربما بسبب تعليمه الغربى ولقاءاته الفكرية مع مدارس غربية ـ وماركسية بشكل خاص . وكان شريعتى يتحدث فى محاضراته عن شخصيات مثل كارل ماركس وفرانز فانون وأسماء أخرى غير معتادة لعامة الإيرانيين مما كان يثير عليه حنق التقليديين ـ بل وأحيانا غضبتهم الثائرة . كما أن اهتمام شريعتى بإعادة اكتشاف ـ أو إعادة تفسير ـ بعض التقاليد ـ وهو أمر لم يرغب ولم يقدر العلماء التقليديون على القيام به ـ قد نجح فى جذب جيل كامل من الشباب الإيرانى المسلم المتعلم تعليما غربيا إلى الإسلام . ونذكر هنا بشكل خاص التوتر بين شريعتى وبين آية الله مطهرى ــ أحد أبرز المنظرين للجمهورية الإسلامية فيما بعد ـ ويرجع هذا التوتر إلى أسباب ذاتيه وأخرى موضوعية . أما السبب الذاتى فهو أن مطهرى كان أكثر المحاضرين شعبية فى « حسينية إرشاد » ، إلا أن الأمر لم يستمر على

هذا الحال بعد ظهور شريعتى هناك . وأما السبب الموضوعى فهو أن مطهرى كان يشكك فى «إسلامية» شريعتى وكان يتهمه باستخدام الدين كأداة لتحقيق أهداف سياسية واجتماعية لاتتصل به . ومن جهة أخرى ، انتقد شريعتى بشكل خاص ـ وفى مناسبات عديدة ـ الملا محمد باقر مجلسى ـ وهو أحد كبار علماء الحقبة الصفوية فى تاريخ إيران ـ باعتباره ممثلا للتشيع الصفوى . وجاءت هذه الانتقادات فى وقت كان ينظر فيه مطهرى وعلماء كبار آخرون فى إيران وقت شريعتى إلى مجلسى بقدر كبير من الاحترام باعتباره من قام بجهد تجميع «بحار الأنوار » والتى جمعت التقاليد الشيعية(٣٧) .

أما فيما يتعلق بآية الله الخمينى ، فنذكر أنه قال عقب وفاة الدكتور على شريعتى عام ١٩٧٧ وقبل انتصار الثورة فى فبراير عام ١٩٧٩ إن « تعاليم الدكتور شريعتى قد أثارت جدلا فى صفوف رجال الدين ، إلا أنها قادت الشباب وصغار المثقفين إلى الإسلام» . ودعا إلى إعادة تقييم المسائل التى أثارها الدكتور شريعتى (٣٨) . وهذا يوضح أن الخمينى كان واعيا بأن فكر شريعتى مثّل تيارا إسلاميا مختلفا نوعيا عن فكر العلماء ، وهو أمر عمد غالبية رجال الدين إلى إنكاره قبيل وأثناء ومباشرة عقب انتصار الثورة فى محاولة منهم لكسب أنصار شريعتى إلى صفوفهم بعد وفاته .

ونرى أن شريعتى أعاد صياغة الايديولوجية الإسلامية بشكل قادر على جذب المثقفين إلى الإسلام ، ولكن فى اتجاه يبعد بهم عن قيادة رجال الدين . ولذلك كان من الطبيعى أن يكون رد فعل بعض رجال الدين هو توجيه الاتهامات إليه بأنه سنى ، أو شيوعى ، أو وهابى . إلا أن هذه الاتهامات لم تثن شريعتى عن التفرقة بين من هو «عالم» ومن هو « معمم » وهو شخص يرتدى ثياب رجال الدين دون توفر المعرفة الدينية والالتزام الاجتماعى لديه (٣٩) . ونعتقد أن شريعتى رأى فى « حسينية إرشاد » بديلا عن التعاليم التقليدية لرجال الدين ووسيلة لكسر احتكارهم للفكر الإسلامى .
وقد هاجم الدكتور شريعتى باستمرار جمود رجال الدين المحافظين ومعارضتهم لبعض الأفكار «الجيدة » الموجودة لدى الغرب مما أدى ـ فى رأى شريعتى ـ إلى دفع أعداد كبيرة من الشباب الإيرانى إلى أحضان الثقافة الغربية (٤٠) . ويجب ألا يجعلنا هذا التوتر بين شريعتى وبعض قطاعات رجال الدين أن نجنح للاعتقاد بأنه لم يكن له أى تأثير على رجال الدين بصفة عامة . فقد كان لفكره تأثير واضح على صغار رجال الدين ، وهو أمر دلت عليه خطب الجمعة فى العديد من مساجد إيران خلال وعقب الثورة وماحملته من أفكار وآراء ـ بل وتعبيرات ـ للدكتور شريعتى (٤١) .

سابعا ـ التأثير الغربى على فكر الدكتور شريعتى

لقد كان الدكتـور على شريعتى على معرفة متعمقة بالتاريـخ والفلسفة الغربيين مع وعيه الذاتى بدينه وتقاليده . وبالتالى كان الأقدر على إدماج الفكر الراديكالى فى الغرب والعالم الثالث مع المبادئ والتقاليد الشيعية . إلا أنه انتقد الأفكار الأجنبية بنفس القدر الذى انتقد به الفكر الإسلامى التقليدى ، فقد انتقـد الفكر العالم ثالثى لفرانز فانون ، خاصـة دعوته لشعـوب العالم الثالـث بالتخلى عن تقـاليدها الـدينية حتى تتمكـن من الانتصار فى نضـالها ضد الإمبريالية الغـربية (٤٢) . ورغم أن الكـاتب الإيرانى ارفـاند ابراهميان قـد ذكر أن شريعتى كرس حياتـه لمهمة إدماج الاشتراكية مع المبـادئ الثورية الموجـودة فى التشيع التقليـدى (٤٣)، فإن الـواقع يـؤكد أن هـدف شريعتى كـان جعل الأصـالـة وسيلة للثـورة والتحـريـر. ولهذا الغرض استخـدم شريعتـى كـافة المفـاهيـم والأسـاليب وأدوات التحليـل التى وجـدها مفيـدة له فى تلـك المهمة ، مهما تعـددت مصادرها .

ولاشك أن الـدكتور شريعتـى قد شارك مـاركس الاهتمام بالجدليـة التاريخيـة ـ دون الجدلية الماديـة ـ وكذلـك بالعلاقـة الجدلية بين البنية التحتيـة والبنية الفوقيـة ، وأيضا مفهومه للتاريخ باعتباره تاريخا للصراع الطبقـى . كذلك من المؤكد أن مفهوم شريعتى لـ «الطليعة » كان متأثرا بمفهوم لينين حول الطليعة الثورية .

ولكن شريعتى اختلـف مع الفكر الماركسى بشـأن دور الفرد ـ وخاصـة القيادة ـ فى صنع التاريخ وفى عملية التغيير. وقد رفض الأسـس الفلسفية والمعرفية لفكر ماركس، كذلـك رفض مـاتوصـل إليه ماركـس من استنتـاجات سيـاسية واعتبرهـا تنبؤات غير علمية . ولم يتوان شريعتـى عن انتقاد الأحزاب الشيوعيـة الحاكمة فى شرق أوروبا لأنها تحولـت إلى مؤسسـات بيروقراطيـة وفقدت بـريقها الثـورى ، وفشلت فى أن تـدرك أن التناقـض الرئيسى فى عالم اليـوم هو بين الإمبريالية الغـربية والعالم الثالـث ، وليس بين الرأسماليين والطبقة العاملة كما كان الحال فى الماضى . وفى هذا المقام ، اقترب شريعتى من فكـر «مدرسة التبعية » . كـذلك انتقد شريعتـى تلك الأحزاب الشيوعيـة الحاكمة لعـدم تفهمهـا لأهميـة « الـوطنيـة » فى العالم الثـالـث بـوصفهـا أداة فى النضـال ضـد الإمبريالية(٤٤). وبصفة عامة ، انتقد شريعتى الاشتراكيين واتهمهم بتحويل الاشتراكية إلى دين مادى متصف بالحتمية الاقتصادية (٤٥) .

ونذكر هنا أن شريعتى دعا إلى دراسة الغرب وتاريخه وتطوره الحضارى والاجتماعى ، والحركات الفكرية فيـه ـ خاصة منذ عصر النهضة مع التركيـز على البروتستانتية ودورها فى أوروبا فى العصـور الوسطى ـــ والقادة السيـاسيين والاجتماعيين للغرب ومقارنـة كل ذلك بالإسلام (٤٦). وقد وعى شريعتى عداء الغرب للإسلام ، إلا أنه انفتح عليه ليتعلم من تحليل العـوامل السابقة مايفيـد فى نضال المسلمين من أجل التحرر . وكـان توجهه هذا بديلا لخوف رجال الدين وغلقهم الأبواب أمام الأفكار والمجتمعات الغربية مما أدى ـ فى رأى شريعتى ـ إلى سـوء فهم عن الغرب . وأدمج شريعتى فى منطقـه معطيات من الفلسفة وعلم الاجتماع والفكـر فى الغرب . وأيقن شريعتى أن المسلمين لايحتكـرون كل الأمـور الإيجابية ، وإلا لكـانـت أحوالهم مختلفـة عما هى عليـه الآن . ولم يكـن كافيـا بالنسبـة لشريعتى أن يقول المسلمـون إن لديهم القـرآن والسنة ، بل كـان من الضرورى فهم جوهريهما ودراسة مـاهو موجود لدى غير المسلمين فى بقية أنحاء العالم لمعـرفة ماقد يفيد المسلمين ويتفق مع مبادئ الإسلام .

الهـــوامش

(١) Hamid Algar , A Biblio - graphical Sketch, in **On the Sociology of Islam,** by Ali Shariati (Berkeley, CA: Mizan Press, 1979) , P.16 .

(٢) , **Roots of Islamic Revolution** (London : Open Press, 1983), p. 74.

(٣) Ibid, p. 75

انظر أيضا : Ervand Abrahaman, " Ali Shariati : The Ideologue of the Iranian Revolution" , in **MERIP Reports,** no. 102, January 1982, p.24.

(٤) Abrahamian, op. cit., p.25

انظر أيضا : **Roots of Islamic Revolution,** op.cit., p. 75

(٥) منصور فـرهنك ، « مقاومة الفـراعنة فى كتابـات على شريعتى عن القهر » ، فى إيـران ١٩٠٠ ـ ١٩٨٠ ، تحرير مـؤسسة الأبحـاث العربيـة (بيروت : مؤسسـة الأبحاث العـربية ، ١٩٨٠) ، ص ٢٠٧٠ انظـر أيضا : **Roots of Islamic Revolution,** op.cit, pp. 76 -77

(٦) د . على شريعتى ، « بناء الذات الثـورية » فى الثورة الإيرانية : الجذور والايديولوجيـة ، تحرير د . إبراهيم الدسوقى شتا (بيروت : دار الوطن العربى ، ١٩٧٩) ، ص ٩٣ .

(٧) محمد السعيد عبد المنعم ، مسألة الثورة الإيرانية (القاهرة : دون ناشر ، ١٩٨١) ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

انظر أيضا : Nikki R. Keddie , **Roots of Revolution** (New Haven and London Yale University Press , 1981) , p. 220 .

(٨) انظر أيضا : **On the Sociology of Islam** , op.cit., pp. 97 - 99 , 109, . Abrahamian, op.cit., p.24

(٩) **On the Sociology of Islam**,op. cit., pp. 101, 115

(١٠) د . على شريعتى ، « تأمـلات مسلم مهتم بمأسـاة الشعوب المستضعفة » فى إيران ١٩٠٠ ـ ١٩٨٠ ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٩ .

(١١) المصدر السابق ، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

(١٢) المصدر السابق ، ص ٢١١ ـ ٢١٢ .

(١٣) المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

(١٤) Edward Mortimer , **Faith and Power** (London : Faber and Faler, 1982 .

انظر أيضا : Keddie, op.cit., p. 219

(١٥) . Keddie, op.cit., pp.217, 220

(١٦) د . على شريعتى ، « تأملات مسلم . . » ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١٤ ـ ٢١٥ .

(١٧) . Mortimer, op.cit, pp, pp.340, 342

(١٨) . **Roots of Islamic Revolution,** op.cit.pp.78, 79

(١٩) **On the Sociology of Islam,** op.cit.pp. 116 - 117 .

(٢٠) Abrahamian , op. cit., pp. 27, 29 .

(٢١) I bid , pp. 25 , 26 .

(٢٢) **Roots of Islamic Revolution**, op. cit., pp, 76, 78 - 79 , 89 .

(٢٣) Mortimer, op.cit., p.338 .

(٢٤) Ewand Abrahamian, " The Guerilla Movement in Iran : 1693 - 1977"In **MERIP Report**, no.86, March/April 1980, p. 10 .

(٢٥) Mortimer , op. cit., pp. 96 - 97 , 98, 99, 113 , 114 .

انظر أيضا : منصور فرهنك ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٦ .

(٢٦) " Ali shariati : The Ideologue of the Iranian Revolution ", op. cit., p. 26.

(٢٧) د . علي شريعتي ، « بناء الذات الثورية » ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٧ـ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١١٥ .

انظر أيضا : **Roots of the Islamic Revolution** , op.cit, p. 95 .

(٢٨) " Ali shariati : The Ideologue of the Iranian Revolution " , op. cit., p. 26.

(٢٩) Ibid , p 28 .

(٣٠) Mortimer , op. cit., pp. 340 - 342 .

(٣١) **On the Sociology of Islam,** op.cit.pp. 48 - 50 , 52

(٣٢) Ibid, p. 49 .

(٣٣) Ibid, pp. 116 - 117.

(٣٤) Ibid , p. 54 .

(٣٥) **Roots of Islamic Revolution,** op. cit.pp. 74 .

(٣٦) د. علي شريعتي ، « بناء الذات الثورية » مصدر سبق ذكره ، ص ٩٦ ، ٢١٣ ـ ٢١٤ .

(٣٧) **Roots of Islamic Revolution** , op. cit., pp. 87 - 88 , 91.

(٣٨) Ibid , p. 88 .

(٣٩) Ibid , p. 93 .

(٤٠) " Ali Shariati : The Ideologue .. " op. cit. p. 28 .

(٤١) **Roots of Islamic Revolution,** op.cit., p.24 .

(٤٢) Ali Shariati : The Ideologue ... " op.cit., p. 24 .

(٤٣) Ibid, pp. 24 .

(٤٤) Ibid, pp, 26 - 27 .

(٤٥) د . علي شريعتي ، « بناء الذات الثورية » ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٥ .

(٤٦) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

الفصل الثاني

أضواء على دور آية الله طلقاني في الثورة الإيرانية

رغم كثرة مـا كتب وذكر عن ثورة عـام ١٩٧٩ فى إيران فإن الكثير من جـوانب هذه الثورة مازال بعيدًا عن تناول أيدى الباحثين . ومن بين تلك الجوانب شخصيات لعبت أدوارًا رئيسية سواء فى الإعداد للثورة ـ على المستويين الفكرى والحركى ـ أو فى قيادتها وفى المراحل التى تلـت انتصار هذه الثورة . أحـد هذه الشخصيات هو آيـة الله سيد محمود طلقـانى (١٩١١ ــ ١٩٧٩) الـذى تحاول هذه الـدراسة عـرض وتحليـل أهم أفكـاره وممارسـاته فى محاولـة لاستكمال حلقة جـديدة من حلقـات فهم الثـورة الإيرانيـة ، فكرًا وأحداثًا .

وستنقسم هذه الدراسة إلى عدة أجزاء :

ـ جـزء يعالـج موقف طلقـاني من قضيـة الحكم وما ينـدرج تحت ذلك مـن مسائل التعددية السياسية ودور الفرد فى إحداث التغيير فى المجتمع . ويتعرض نفس هذا الجزء لنشاط طلقانى السيـاسى وموقعه فى الحركة الوطنية الإيـرانية . ويندرج تحت هذا الجزء أيضـا علاقتـه بمنظمة مجاهـدى الشعب الإيـرانى ومـوقفه تجاه الماركسيـة وتجاه مسألـة الأقليات القومية ، ورجال الدين .

ـ يتناول الجزء الثانى دور طلقانى فى إعـادة تفسير الفكر والتاريخ الإسلاميين بصفة عامة ـ والفكر الشيعى بصفة خاصة .

ـ يعقب ذلك جزء يتناول مفهوم طلقانى للجهاد وموقفه من الاستعمار والصهيونية .

ــ ثم يـأتـى الجزء الـرابع والـذى يتنـاول معالجة طلقـانـى للمسـألتين الاقتصاديـة والاجتماعية .

ويأتى فى النهايـة تقييم عام لما عرض من أفكار طلقانـى ودوره ودرجة تأثير ذلك فى مسيرة الثورة الإيرانية .

ومن خلال هذا التقسيم يأمل الكاتب فى معالجة الجوانب الأساسية فى فكر طلقانى ودوره فى الثورة الإيرانية بما يساعد على فهم أفضل لدور هذه الثورة فكريًا وسياسيًا ونمط تطورها .

أولا : طلقانى ومسألة السلطة السياسية :

يرى طلقـانى أن الحكـومة الشرعية هـى الحكومـة الإسلامية التـى يرأسهـا الإمام أو الوالى، وإن مثل هذه الحكـومة يجب ألاّ تمثل طبقة واحدة بل تمثـل كل أفراد المجتمع ، ومسئـوليتهـا تكمن فى حمايـة حقـوق كـل الأفـراد على المستويين الفـردى والجماعـى . ويستنكر طلقانى تبنى سياسة القمع من جانب السلطة لما يؤديه ذلك من سيطرة طبقة مـن الانتهازيين وأصحـاب المصـالح الشخصيـة الذيـن لايهمهـم سوى الحفـاظ على سلطتهم ولا يتورعون على لى المبادئ لتلائم مزاجهم . ويرى أن القهر يدمر قدرة البشر على الإبداع [١] .

ويعتبر طلقانى مـدينة الرسول ـ ﷺ ـ المثال حيث لم يكن هناك فـاصل بين الحاكم والمحكوم ، وإنما تقسيم للعمل والجميع شركاء فى المسئولية . [٢] والحكم فى الإسلام هو حكم الله ، وعلى الرسول والأئمة ومن بعدهـم المجتهدون وجمهور المسلمين تنفيذ شريعة الله التى تقف فى انسجام وتناغم مع الفطرة البشرية وتمثل الصراط المستقيم . [٣] ويرى طلقانـى أهمية خاصـة للفكرة الشيعية التقليـدية بعدم تـأدية صلاة الجمعـة إلاّ فى ظل وجود سلطـة عادلـة ، وذلك لأن صلاة الجمعـة هى رمز لسلطـة الدولـة ، وإذا أداها المسلمـون فهذا يعكـس مسـاندتهم للسلطـة الحاكمـة لأن إمام الجمعـة يمثـل الدولـة تاريخيًا[٤] .

ويعتبر طلقانى الأسلـوب الأمثل للحكم هو مشاركة الأفـراد فى إدارة شئون حياتهم من خلال مجالس منتخبة لهذا الغرض على كافة الأصعدة [٥] .

وفى إطار مـوقفه مـن قضية السلطة يعتبر طلقـانى حريـة الفكر والتعبير غير قـابلة للانتهاك ، وإن الأحزاب والقادة الذين لايسمحون بانتقـادهـم من قبل الآخرين يعانون من عجـز وضعف فكرى . ويـرى فى الاسلام إطارًا رحبًـا يتسع لكل العقـائد والنظـم القيمية لكافة الأفراد وليس لجماعة واحدة فقط [٦] .

وفيما يختص بدور الفرد فى إحداث تغيير فى المجتمع ، يـرى طلقانى أن أئمة الشيعة هم مثال للذكاء الموجه بإيمان وقيم أخـلاقية سامية ، وينصح البشر بالاقتداء بهم للبعد عن أى انحراف لأنهم يمثلـون الصراط المستقيم . [٧] ويذكر أن بداخل كـل فرد حركة نحو مزيد من الكمال ، وهذا يعنى أنه لايجب على الفرد التأقلم مع البيئة المحيطة ، بل تطـويرهـا بصفة مستمـرة فى اتجاه الكمال . ويشير للإمـام الحسين كحاكـم دافع عـن مصالـح المسلمين ، ولم يسع لامتياز أو تميـز فوق العباد . ويـؤكد طلقانـى أن التحول

الاجتماعى يقتضى التغيير والتغلب على القوى التى تعوق البشر عن حريتهم وحقهم فى الإبداع . وهذا بدوره يتطلب أن تقوم به قوة اجتماعية تفوق قوتها قوة أفرادها مجتمعين . [٨]

وعلى مستوى الممارسة السياسية يمكن تتبع نشاط طلقانى وموقعه فى الحركة الوطنية الإيرانية .

فقد كان طلقانى على اتصال وثيق بنواب صفوى زعيم ومؤسس منظمة «فدائيان إسلام» النشيطة فى أوائل الخمسينات . وقد لجأ صفوى لبيت طلقانى هربًا من مطاردة السافاك .

كذلك أيد طلقانى د . محمد مصدق فى مسألة تأميم صناعة النفط الإيرانى ، وحاول ـ دون جدوى ـ الوساطة بينه وبين آية الله كاشانى قبيل الإطاحة بمصدق فى انقلاب ١٩٥٣ . وأسس طلقانى عام ١٩٥٧ حركة المقاومة الوطنية (نهضة مقاومات مللى) مما أدى لسجنه مدة تربو على العام . [٩]

وبعد الإفراج عنه بعد اعتقال قصير بين عامى ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ لقيادته تظاهرات تندد بسياسات نظام الشاه ، كون مع مهدى بازرجان ويد الله محابى حركة تحرير إيران (نهضة آذاد إيران) ، مما أدى لاعتقاله مرة أخرى والإفراج عنه قبيل الانتفاضة الشعبية فى يونيو عام ١٩٦٣ . ومن الهام الإشارة إلى أن حركة تحرير إيران كانت انشقاقا إسلاميا عن الجبهة الوطنية (تنظيم د . مصدق) ذات التوجه العلمانى . وقد سعى طلقانى فى إطارها إلى إقامة جسر فكرى وتنظيمى يربط رجال البازار التقليديين ورجال الدين المعادين للنظام الحاكم مع المثقفين الراديكاليين والثوريين المتأثرين بالأفكار الغربية والتكنوقراط ذوى التعليم الغربى . وقد شارك طلقانى فى قيادة انتفاضة عام ١٩٦٣ واعتقل لفترة بعدها . وعقب فشل انتفاضة ١٩٦٣ كتب ووزع طلقانى كتيبًا بعنوان «الطاغية يسفك دماءنا » مما أدى لاعتقاله والحكم عليه بالسجن ١٠ سنوات ، إلاّ أنه أفرج عنه عام ١٩٦٨ نتيجة ضغوط دولية[١٠] ثم اعتقل مرة أخرى عام ١٩٧٥ بتهمة قيادة تظاهرات ضد نظام الحكم .

وقد نفى طلقانى عام ١٩٧١ إلى جنوب شرق إيران عقب دعوته فى خطبة دينية إلى إعادة العمل بدستور ١٩٠٥ الديمقراطى فى إيران . [١١] ويذكر من مواقف طلقانى السياسية أيضا فى إطار الدفاع عن الحريات السياسية إدانته لإنشاء حزب النهضة

(راستاخيز) عام ١٩٧٥ كحزب أوحد فى إيران ، ووصفه تلك الخطوة بأنها غير ديمقراطية وغير إسلامية .[١٣] وكانت دروس طلقانى فى مسجد هدايت توجيهًا أيديولوجيًا للشباب الإيرانى المسلم ، وكان من بين المترددين على تلك الدروس بعض قادة منظمة مجاهدى الشعب الإيرانى فيما بعد (سازمان - مجاهدين - خلق - إيران) .

وقد تولى طلقانى مسألة جمع تبرعات - خاصة من رجال البازار - لمساندة عائلات المعتقلين السياسيين وضحايا نظام الشاه ، وكذا لدعم أنشطة مجاهدى الشعب . ويعد طلقانى من رجال الدين الأوائل الذين حملوا دروسهم وفكرهم معهم وذهبوا بها إلى الجامعات على شكل إلقاء محاضرات منذ الخمسينات .

وقد مثلت سنوات السجن العديدة لطلقانى مع معتقلين من تنظيمات يسارية وعلمانية فرصة للحوار بينهم مما جعل طلقانى يعى مدى النقاء الثورى لدى هؤلاء الشباب والرغبة فى التضحية بالذات لدى هؤلاء - خاصة الشبان منهم - فى نضالهم ضد الحكم . ومن جانب آخر لفت طلقانى انتباه أولئك الشباب بوصفه رجل دين متفتحا ومتقدما فكريًا على غير عادة الكثير من رجال الدين فى إيران آنذاك .

أما أثناء الثورة فقد قاد طلقانى تظاهرة من مليون ونصف مليون مواطن فى ديسمبر ١٩٧٨ فى ذكرى عاشوراء تطالب بالجمهورية الإسلامية ضمن سلسلة التظاهرات التى مثلث تطور التفاعل الشعبى مع الحركة الثورية ، وأصدر بيانًا أدان فيه مذابح النظام الحاكم ضد المتظاهرين العزل وطالب بمشاركة شعبية واسعة فى مراسم جنازات الشهداء .

وقد نظم طلقانى ونسق عددًا من الإضرابات والاعتصامات لعمال المصانع وعمال النفط والموظفين . كما أن الضباط والجنود الذين كانوا يفرون من قوات مقاومة التظاهرات الشعبية كانوا يلجئون إلى بيت طلقانى ، ومن هناك ينضمون للتظاهرات الشعبية . وبالتالى غطت شعبيته كافة الفئات ، بل إنه قاد في يناير عام ١٩٧٩ تظاهرة من المدرسين المضربين وتوجهوا - ومعهم مئات الآلاف من الإيرانيين - إلى جامعة طهران حيث حرروها من الجيش الذى كان قد استولى عليها فى نوفمبر ١٩٧٨ .[١٢]

ولايجب نسيان أن موقف طلقانى قد تغير من تأييد إعادة العمل بدستور عام ١٩٠٥ فى أوائل عام ١٩٧٧ إلى تبنى موقف الخميني المطالب بإسقاط النظام البهلوى برمته . وفى هذا الإطار كان الدور الهام الذى لعبه طلقانى كهمزة وصل بين الخمينى فى

بـاريس مـن جانــب وبين القوى اليسـارية والـوطنية والليبراليـة والإسلاميـة التقدميـة (مجاهدى الشعب) داخـل إيران من جانـب آخر . وبعد الإفراج عنـه للمرة الأخيرة فى أكتوبـر عام ١٩٧٨ شجع طلقـانى أنصاره وأتبـاعه على تكويـن والانضمام إلى مجالس محلية (شورى ـ يى ـ محلى) أنشئت لإدارة الأحياء والمنـاطق فى وقت غابت فيه سلطات الدولة الفعليـة . كذلك التزم طلقانى بتـأييد المجالس العمالية التـى أنشئت على أسس عفوية لإدارة أماكن العمل . (١٣) وكان طلقانى يرى فى ذلـك تطبيقا لمبدأ الشورى على مستوياته القاعدية ، وضمانًا لمشاركة المسلمين مباشرة فى إدارة شئونهم .

وإذا جاز لنا أن نتعرض لخطب طلقانى قبل انتصار الثورة ، فإننا نرى أنه يوضح أن الحكومـة الإسلامية هى حكـومة التوحيد وحكـومة المستضعفين بقيادة مرجـع تقليدى كالخمينى ، وهى تقـوم على أكتاف المجاهدين والمجتهدين (رجـال الدين) وليس على أساس الثروة أو الاعتماد على أسلحة الدمار أو الاستبـداد أو باللجوء للإمبريالية . (١٤) كما أظهر طلقـانى وعيًا بعيـد المدى عندما أدان فى خطبه القـوى المتآمرة على الثـورة من داخلها ، وتلك العاجزة عن تكملة مسيرة الثورة ، واعتبر هذه القوى موالية للإمبريالية والصهيونيه وقوى مغتربة عن ذاتها لاتدرك مصالحها ومصالح المستضعفين . (١٥) .

وكان طلقـانى أول من ظهـر على شاشة التليفزيـون الإيرانى بعـد استيلاء المسلمين الثـوريين عليه فى فبرايـر عام ١٩٧٩ وهنـأ الشعب بـانتصـار الثورة غير عـابىء بتلـك المخاطرة فى وقت لم تكن فيه الثورة قد استقرت تمامًا .

وقد نـاضل طلقـانى بعد انتصـار الثورة مـن أجل وحدة الحركـة الإسلاميـة وتجنبًا لضعف الجمهورية الوليدة . ورغم ذلك فلم يكن يرى ذلك من خلال قمع حرية قوى سياسية معينة ، حيث إنه عندما اعتقل اثنان من أبنائه من جانب اللجان الثورية ـ التى شكلها الحزب الجمهـورى الإسلامـى الذى تأسـس فى مارس عـام ١٩٧٩ من جـانب رجال دين مثل آية الله بهشتى ومفكرين مثل حسن آيات ـ فى ابريل عام ١٩٧٩ ، انتقل بعيدًا عن طهران تجنبًـا لعمل يقوم به أنصاره ويهدد وحدة القـوى الثورية . (١٦) إلا أن أنباء إضرابه عن الطعـام احتجاجًا على اعتقال ابنيه وصلت مسـامع أنصاره مما أدى إلى قيام تظاهـرات احتجاج بالإضافة إلى رسـائل احتجاج من آيات الله ضـد هذا الانتهاك للحقوق السياسية . وقد أكـد طلقانى أن احتجاجه ليس دفاعًا عن ابنيـه بل عن حرية الشعب ، ولكنه جدد ثقته بقيادة الخميني . وفى ذلك الوقت أكد مجاهدو الشعب أنهم مستعدون للقتال دفاعًا عن الحريات السياسية . (١٧)

وقد ازدادت شعبية طلقانى فى الجامعة بعد الثورة نظرا لأنه كان يؤم الصلاة فى جامعة طهران ويقدم فكره المستنير للطلبة بشكل حديث وميسر .

ومن الثابت أن طلقانى قد رفض تجاوزات اللجان الثورية ضد حقوق الإنسان كما دافع عن حق النساء فى اختيار عدم ارتداء الحجاب (الشادور) .(١٨) وكان يحرص فى المجلس الثورى ــ الذى رأسه من مايو إلى سبتمبر عام ١٩٧٩ ـ على أن يكون مستقل الرأى عن الحكومة الانتقالية للمهندس بازرجان وعن بقية أعضاء المجلس . (١٩)

وقد انتقد طلقانى مشروع الدستور المقدم فى يونيه عام ١٩٧٩ على أساس أنه أقل من دستور عام ١٩٠٥ من ناحية نصوصه حول الحريات الديمقراطية . وحبذ انتخاب مجلس مكون من ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ عضو يمثلون كل أقاليم إيران وفئاتها ليعد المشروع النهائى للدستور . وكان ذلك أيضا هو موقف آية الله شريعتمدارى والقوى العلمانية واليسارية ومجاهدى الشعب . لكن طلقانى أثبت مرونة حول هذه النقطة لأنه قبل المشاركة فى انتخابات مجلس خبراء محدود العضوية (٧٥ عضوا) به نسبة كبيرة من رجال الدين لصياغة مشروع الدستور . وقد حصل طلقانى فى انتخابات مجلس الخبراء فى أغسطس عام ١٩٧٩ على أعلى عدد أصوات (٣٥١٦,٨٥٠) وكذلك على تأييد مجاهدى الشعب .(٢٠) ، وقد كان تبنى طلقانى لموقف مرن حول هذه المسألة يرجع لإحساسه بأنه لاتوجد معارضة شعبية واسعة لفكرة مجلس الخبراء تلك ـ التى اقترحها الحزب الجمهورى الإسلامى ــ وبالتالى ربما أراد طلقانى تجنب أن يستبعد نفسه من العمل السياسى إذا لم يشارك بهذه الانتخابات .

وتجدر هنا الإشارة إلى أن استخدام أية الله الخمينى لتعبير « المجالس الشعبية » فى خطبه وإدخالها فى نص الدستور كان بناء على إلحاح شديد من آية الله طلقانى لتأكيد المشروعية الشعبية للسلطة ،(٢١) وإن كان لا الخمينى ولا الدستور قدما تعريفًا محددا لهذا التعبير .

وكان طلقانى يعى جيدًا علاقة مسألة التعددية السياسية بالنظام الإسلامى الصحيح ، لذلك أكد دائمًا أن هدف الثورة هو الحرية ، وإن الثورة الإيرانية لم يأت بها فرد أو مجموعة أو أيديولوجية واحدة . وحذر من أن يأتى مستبد آخر يحل محل الشاه ومن هيمنة أى حزب أو فكر . وذكر فى خطاب له أنه إذا كان على المؤمنين بالإسلام أن يناضلوا أعداء الثورة فى سبيل الله ورسوله فإن على غير المؤمنين بالأيديولوجية الإسلامية أن يناضلوا أولئك الأعداء فى سبيل الدفاع عن الكرامة الإنسانية . وأعلن طلقانى مرارًا

أنه رغم الخلاف مع الشيوعيين فطالما أنهم لم يعادوا نضال الثورة ضد الاستغلال والإمبريالية والاستبداد وليسوا مرتبطين بالقوى الأجنبية ، فيجب ضمان حقوق التعبير والتنظيم لهم فى إطار جمهورية إسلامية قائمة على الشورى . ورأى طلقانى أنه من حق كل القوى التى ساهمت فى الثورة الإيرانية وتشارك فى أهدافها أن تساهم بدور فى إعادة بناء المجتمع الإيرانى .(٢٢)

وعلى الجانب الآخر رفض طلقانى فكرة تأسيس جيش ديمقراطى وهى الفكرة التى طالب بها مجاهدو الشعب ومنظمة فدائيي الشعب الإيرانى (الماركسية) والتى تقوم على أساس انتخاب الضباط وكذا مجالس تمثل كافة الرتب لتكون هى مراكز صنع القرار. وقد أوضح طلقانى أنه يفضل إنشاء جيش محترف بهيكل ثابت للقيادة ، ويكون القادة معينين من قبل الحكومة على أساس معايير التقوى والخبرة العسكرية ، على أن يكون هذا الجيش مسئولا أمام الشعب وممثليه . وفى هذا الإطار طالب طلقانى ــ كما فعل الخمينى ــ مجاهدى الشعب وفدائيى الشعب بتسليم مابحوزتهم من أسلحة للجيش .(٢٣) ويمكن إرجاع آراء طلقانى تلك إلى ما كان يكنه دائماً من احترام لفكرة التخصص الفنى فى العمل منذ عمل على جذب الانتلجنتسيا والتكنوقراط لحركة تحرير إيران . وهذا الاحترام ينسحب بالضرورة أيضا على الناحية العسكرية .

ولكن قبل وفاته المفاجئة فى سبتمبر عام ١٩٧٩ بعدة أيام حذر طلقانى الشعب الإيرانى من الاستبداد المتخفى تحت عباءة الإسلام ، وأكد أن الإسلام لايقر منع الناس من ممارسة حقوق النقد والاعتراض والتعبير عن آلامهم . كما حذر بأنه بعد كل ثورة تظهر فئة من الانتهازيين التى تظهر ولاءها للثورة ثم تنحرف بها بعيدًا عن أهدافها الأصلية . واستخدم طلقانى تعبير « محتكرى السلطة » ـ الذى كانت المعارضة تفسره على أنه إدانة منه لرجال الحزب الجمهورى الإسلامى . ونصح طلقانى رجال الدين بترك المناصب التنفيذية والعودة إلى المساجد لإرشاد وتوجيه الأمة .(٢٤)

ولم يكن ليعرف موقف طلقانى من الصراع الذى تلا وفاته بين الفصائل الإسلامية المختلفة خاصة بين الحزب الجمهورى الإسلامى ومجاهدى الشعب ، وهو الصراع الذى تركز حول قضايا عديدة ، من أهمها مسألة المشاركة السياسية . ولكن هناك عددا من أتباع طلقانى انضموا للحزب الجمهورى الإسلامى ولجانه الثورية على أساس أنه حزب يقود التحول نحو مجتمع لاطبقى ولارأسمالى ويقوم على المشاركة الشعبية .

وطالما أن موضوع الحديث فى هذا الجزء هو موقف طلقانى من مسألة السلطة

السياسية ، فهناك ٤ مسائل محددة يجب التعرض لموقف طلقانى من كل منها :

(١) موقف طلقانى من منظمة مجاهدى الشعب :

يمكن القول بأن إنشاء المنظمة كان تحت تأثير دروس طلقانى فى جامع هدايت وحواره فى السجون ــ أثناء فترات اعتقاله ــ مع الشبان المعتقلين من اتجاهات سياسية مختلفة . وهناك ثلاثة من مؤسسى المجاهدين من تلاميذ طلقانى وهم محمد حنيف نزهت وسعيد محسن وعلى أصغر بديزادجان .

وقد ارتبط طلقانى ـ ضمن رجال دين آخرين ــ بالمنظمة ؛ وأدى ذلك لنفيه عام ١٩٧١ . وقد أدى ما سمى « بالانقلاب الماركسى » فى صفوف المجاهدين عام ١٩٧٥ واعتراف أحد العناصر الماركسية المنشقة للحكومة باستمرار صلات طلقانى الوثيقة بمنطقة المجاهدين الأصلية (الإسلامية) إلى اعتقاله والحكم عليه بـ ١٠ سنوات سجنا ، ولكنه أفرج عنه تحت ضغوط دولية فى ٣٠ أكتوبر عام ١٩٧٦ . [٢٥]

وقد وصف طلقانى قادة منظمة المجاهدين بأنهم تلاميذ مخلصون للقرآن وأنهم هم الذين فتحوا الطريق أمام الجهاد . [٢٦] وأكد الدور الإيجابى الذى لعبته المنظمة فى ثورة ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ .

ورغم عدم وجود إدانة علنية من جانب طلقانى للمجاهدين ، فإن بعض المصادر تذكر أنه اختلف معهم فى إعطائهم الأولوية للعامل الاقتصادى فى التحليل ورفضهم للملكية الخاصة ، وكذلك فى تحالفهم مع منظمة فدائيي الشعب الماركسية ، وإنه اجتمع مع قادة المجاهدين عدة مرات لتصحيح هذه المواقف . [٢٧]

وقد التقى آية الله طلقانى بمسعود رجوى زعيم المجاهدين عقب إطلاق سراح الأخير فى يناير عام ١٩٧٩ لمناقشة النتائج المترتبة على مغادرة الشاه لإيران ، ولتأكيد إقناع رجوى بتأييد زعامة الخمينى . [٢٨] كما كان طلقانى على تنسيق مع المجاهدين طوال فترة الثورة .

ومن جانبهم ، أطلق المجاهدون على طلقانى لقب « الأب طلقانى » واعتبروا أنفسهم « الأبناء المخلصين للأب الرحيم طلقانى » .

وقد انعكس خلاف طلقانى مع المجاهدين فى بعض المواقف ـ خاصة بعد الثورة ـ على اتجاه العديد من أنصاره وأتباعه بعيدًا عن المجاهدين فيما بعد .

(ب) موقف طلقانى تجاه الأقليات :

عندما حدثت قلاقل فى تركستان وكردستان بعد الثورة ، سافر طلقانى إلى المنطقتين وبذل جهودًا للمصالحة بين ممثلى الأقليات والحكومة . وكان يحظى عمومًا باحترام الأقليات ، ومنها الأقليات السنية ، بل والأقلية اليهودية أيضا التى أقامت له تأبينا فى معبد طهران بعد وفاته . إلا أن طلقانى كان دائمًا يحذر من التوجهات الانفصالية للأقليات والتى تضعف وحدة القوى الإسلامية .

(جـ) موقف طلقانى من دور رجال الدين فى السياسة :

كان طلقانى يرفض من حيث المبدأ إعطاء رجال الدين أى امتيازات فوق المواطنين العاديين ، إلا أنه اعتبر أن تفسير الشريعة واجب عليهم وحق لهم ، وهو مايختلف به عن رأى مفكرين إسلاميين إيرانيين آخرين مثل د . على شريعتى .

وقد عاب طلقانى على رجال الدين تقلدهم مناصب تنفيذية ، وطلب ببقاء رجل الدين فى المسجد ليبقى معبرًا عن ضمير الأمة ومرشدًا لها ، وفى حالة رغبته فى الترشيح لمناصب تشريعية فيجب أن يكون ذلك على قدم المساواة مع الأفرادالعاديين . [٢٩]

وقد وقف طلقانى فى مواجهة الكثير من كبار رجال الدين الإيرانيين فى هجومهم على الدكتور على شريعتى ، واعتبر أن شريعتى مفكر ثورى إسلامى أصيل . إلا أنه أظهر احترامه لمراجع التقليد وللمؤسسة الدينية ككل . ولكن هذا الاحترام لم يمنعه من المطالبة باستبدال مراجع التقليد بمجلس يضم أكثر رجال الدين علما واحتراما من الناس للتقرير فى المسائل الدينية . [٣٠] وكمنت خطورة هذا الاقتراح فى أنه عنى احتكار مجموعة موحدة للفتوى فى رأى الإسلام ، فى حين أن تعدد مراجع التقليد كان يمثل إرثًا ديمقراطيًا فى الحركة الشيعية لأنه يعطى الفرصة للشيعى أن يتبع المرجع الذى يختاره .

وفى يناير عام ١٩٧٩ ـ قبل عودة الخمينى لإيران ـ كون بعض رجال الدين « مركز استقبال الإمام » وبدا أنهم يستبعدون طلقانى ويقللون من دوره فى الثورة . وقد رفض المركز طلب طلقانى بأن يكون فى استقبال الخمينى ممثلو كل التيارات التى شاركت فى الثورة ، واقتصر الاستقبال أساسًا على رجال الدين ، مما خلق نوعًا من الحساسية بين طلقانى وهذه المجموعة من رجال الدين . [٣١]

وقد رفض طلقانى الانضمام للحزب الجمهورى الإسلامى الذى كان يسيطر عليه رجال الدين . وبدورهم فقد رفض الكثير من رجال الدين أن يرأس طلقانى مجلس

الخبراء المخول بإعداد المشروع النهائى للدستور ، رغم أنه الحائز على أعلى نسبة أصوات فى انتخابات هذا المجلس . (٣٢)

أما عن علاقة طلقانى بالخمينى ، فإنه كان يؤيده منذ عام ١٩٦٣ انطلاقًا من مبدأ تأييد الجناحين السياسى والثورى داخل المؤسسة الدينية . وعقب انتصار الثورة عينه الخمينى فى أغسطس عام ١٩٧٩ إمام الجمعة فى طهران . وقد التقيا عقب اعتقال ولدى طلقانى فى أبريل عام ١٩٧٩ وزال سوء فهم مؤقت بينهما ، وأكد طلقانى دائمًا إيمانه بقيادة الخمينى وأشاد باستماع الأخير إلى كل الآراء واتخاذه القرار الصحيح بعد ذلك . وعند وفاة طلقانى سماه الخمينى « أبا ذر الجديد» . (٣٣)

(د) موقف طلقانى من الماركسية والماركسيين الإيرانيين

انتقد طلقانى الماركسية لتجاهلها اختلاف الظروف بين الدول ، ولأنه فى إطار بيئة قمعية سياسيًا فإن الحكم يئول إلى الانتهازيين الذين يلوون عنق المبادئ لخدمة مصالحهم ويقودون المجتمع فى الاتجاه الذى يحفظ لهم قوتهم. (٣٤) وذكر طلقانى أن كلمة «الشيوعية » بمعناها الحرفى هى السياسة التى وضعها النبى - ﷺ - فى المدينة بمؤاخاته بين المهاجرين والأنصار . إلا أنه من الناحية الفلسفية رفض المادية التاريخية وأكد الإرادة المطلقة للخالق فى الكون وليس سيادة المادة . ووصف طلقانى النخب الحاكمة فى الدول « الشيوعية » بأنهم رأسماليون جدد يستعبدون العباد. وأعرب عن شعوره بالأسى لأن اليساريين لم يعرفوا من الإسلام إلا التعاليم البالية لبعض رجال الدين . ولم يعتبر طلقانى الماركسية تهديدًا مباشرًا فى الظرف الراهن للإسلام الثورى. (٣٥) وعلى مستوى الممارسة ، وفى الأربعينات ، صاحب طلقانى الجيش الايرانى حتى رنجان عند هجومه على الحكومة الانفصالية بقيادة جعفر بشاوارى فى أذربيجان ، واعتبر طلقانى تأييد السوفيت لهذه الحكومة دليلاً على عداء هذه الحكومة للدين وحث الجنود على قتالها . (٣٦)

إلا أن طلقانى قد اختلف فيما بعد مع رجال الدين الآخرين فى أسلوب التعامل مع الماركسيين وآمن بأنه يمكن كسب الماركسيين للصف الإسلامى بالحوار الهادئ والقائم على الاحترام . لكنه أثناء قلاقل كردستان وتركمنستان بعد الثورة أدان تورط الشبان ومن أسماهم مدعى اليسارية فى هذه الاضطرابات وأدان اعتبار اليساريين الشبان أنفسهم أنهم الأوصياء على الشعب ، وأدان حديثهم عن العمال وهم يكتفون بتلاوة الأناشيد .

كما نـدد بموقفهـم مـن مسألـة حقوق المرأة ، وبعـدائهـم للخميني رغـم نصرة الأخير للمستضعفين ، واعتبر طلقاني أنهم عزلوا أنفسهم عن الشعب . (٣٧)

ثانيا : طلقانـي وإعادة تفسير الفكر والتاريخ الإسلاميين بصفـة عامة والفكر الشيعي بصفة خاصة :

تعود جذور هذه المسألـة فى فكر طلقانى إلى الثلاثينات عندما حثـه أستاذه بالمدرسة الفيضية بقم آية الله محمد تقى يازدى بأن يكرس حياته لإحياء المؤسسة الـدينية وتوجيه جهدها لخدمة قضايا الأمة فى هذه الحياة الدنيا .

وقد أعطـى طلقانى الكثير مـن المحاضرات لتوصيـل مايـرى بأنه المعنـى الصحيح للقرآن وكتب تفسيره الخاص للقرآن تحت عنوان « قبس من القرآن » (**بارتوفى أز قرآن**) ، وكان يحاول فى عملية إعادة التفسير تلك التأكيد على أنـه رغم أن معاوية بن أبى سفيان هـو أول من حـول الإسـلام إلى دين جهـل ورجعية فـإن محاولات الإقطـاع والرأسمالية للانحراف بالفقـة الدينى بقيت هامشية وفشلت فى أن تنزع قيـم الحق والعدل من قلب الفكر الإسلامى . (٣٨) وهنا يتضـح اختلاف طلقانى مـع شريعتى الذى كـان يرى أن الأسرة الصفوية التـى حكمت إيران لعقود طويلة ، ورجـال الدين الذين والـوها زيفوا كافة المفاهيم الإسلامية والشيعية وأعطوها معانى مضادة لمعانيها الأصلية .

وقد أسست حركة تحرير إيران برئاسـة طلقانى دار حسينية إرشاد لإلقاء المحاضرات التى تعبر عن الفكر الإسلامى التصحيحى الـذى يجعل فقه الشيعة فى اتصال بحياتهم وقضاياهم ، وكان يحاضر بها شريعتى وآية الله مرتضى مطهرى .

وفى عامـى ١٩٦٣ و ١٩٧٨ طالب طلقـانى مسلمـى إيران باتخاذ القـدوة فى الإمام الحسين وتضحيته بنفسـه فى سبيل الحق والعدل ، وقـد دفع ذلك المصلين للتحـول من احتفالات سلبية لإحيـاء ذكرى عاشوراء إلى القيام بتظـاهرات سياسية ضـد نظام الشاه وحمل أكفانهم على أيديهم . (٣٩) وقد نجح طلقانى فى نشر فكرة التضحية بالذات وكذا المدلولان السياسـى والثورى لأحداث عاشوراء ، وسـاعده على ذلك كونـه إمام مسجد على صلة مستمرة بالجماهير .

وقد حث طلقانـى الخمينى على إعادة صلاة الجمعة فى طهران وكـافة المدن الإيرانية الأخرى بعد الثورة بما أن المسلمين يؤدونها بعيدًا عن أئمة معينين من سلطة غاصبة . (٤٠)

ويمكن من جانب آخر تتبع آثار فكرة هجرة المجتمع ـ ولو على المستوى الروحى والفكرى على الأقل ـ فى فكر طلقانى عندما تحدث عن إمكانية تربية مجموعة صغيرة من الأفراد على قيم التحرر من العبودية للسلطة أو الثروة أو أى شىء غير الله . وتنبأ أن هذه المجموعة ستجذب كل ضحايا الاستبداد والاستغلال . أما عن مفهوم « التوحيد » فيرى طلقانى أن التوحيد يعنى بالضرورة الجهاد ضد كل « أوثان الأرض » والتى تمثلها كل قوة أو فرد أو طبقة تحتكر السلطة السياسية أو الاقتصادية أو الروحية . (٤١) وهنا يتشابه طلقانى مع فكر كل من شريعتى وأبى الأعلى المودودى وسيد قطب عن التوحيد ، ولكن طلقانى يرى أنه طبقا لهذا التعريف للتوحيد فإن الإسلام يتفق مع مفاهيم مثل الاشتراكية والديمقراطية طالما تؤدى إلى التوحيد ولاتعتبر غاية فى حد ذاتها . ويذكر أن التوحيد يعنى إقرار أن الكون وكل ثرواته ملك لله ، وعلى كل مسلم القيام بمسئوليته لتأكد انتفاع المجتمع ككل بهذه الثروات .

ويطالب طلقانى بتصحيح العلاقة بين العرب والإسلام فى الفكر الإسلامى ، فيقول إنه لايحق للعرب القول بأنهم أفضل من المسلمين غير العرب لأن الإسلام جاء من أرض عربية لأن المسلمين سواسية فى الحقوق دون النظر إلى العنصر أو العرق ، وإن معيار التفاضل هو التقوى . ويرى طلقانى أن « عنصرية العرب » ـ كما يسميها ـ وغيرهم من الأعراق التى دخلت الإسلام هى التى تؤدى لغياب الثقة المتبادلة بين الشعوب الإسلامية وتمكن القوى الخارجية من تقسيم المسلمين .

ويطالب طلقانى أيضا بتحديث النظام التعليمى الإسلامى حتى يكون هدفه التعرف على وظائف وأسباب كافة ظواهر الكون ، وتقوية إرادة مقاومة القهر والعدوان داخل النشء ، وتنمية الإحساس لديهم بالمسئولية تجاه المجتمع وبضرورة العمل لصالح المستضعفين وتحريرهم من العبودية لغير الله . ويرى أنه بذلك يتفق التعليم مع تعاليم الإسلام . (٤٢) ويلجأ طلقانى إلى المقارنة مع كتب غربية فى علوم الفلك والطبيعة لتأكيد صحة ما ورد بالقرآن حول الكون ـ وهو أمر لايلجأ إليه عادة رجال الدين رفضًا لمقارنة ماهو إلهى بما هو بشرى . ولكنه يذكر أنه مهما بلغت معارف البشر فهم عاجزون عن المعرفة الكاملة بكل شىء .

وهكذا ، عمل طلقانى على تنمية وعى متنام خاصة لدى الشباب بإعادة المفاهيم الدينية إلى مدلولاتها السياسية والاجتماعية خدمة لقضايا الأمة الإسلامية والشعب الإيرانى بصفة خاصة .

ويرى طلقـانى فى الحج تخلص المسلمين مـن أزيائهم التـى تعكس تميزهـم الطبقى ويصبحـون جمعيا عبـادا لله ، وذلك رمـز لوحـدة البشرية وتخطـى الخلافات الـدنيويـة ومساواة كـل المؤمنين واتفاقهـم على رفض العبوديـة للاستبـداد السياسـى والاستغلال الاقتصادى . (٤٣)

ثالثا ـ طلقانى ومسألة الجهاد وموقفه تجاه الاستعمار والصهيونية :

يرى طلقـانى أن الـدول حاليًا ما هى إلا إقطـاعيات يحكمهـا قادة تسيطـر عليهم عداوات وأطماع فردية ورغبة فى الحفاظ على الحكـم واستغلال عرق الكادحين للحفاظ على امتيازاتهم . كما أن هؤلاء القادة يستحثون مواطنيهم على قتال بعضهم البعض تحت لافتات « الـوطنية » « القـومية » ، وهذه الحروب تحقـق فى النهاية فقـط مصالـح هؤلاء الحكـام . . وبـدلا من أحيـاء وعـى الكـادحين اتهم طلقـانى المثقفين فى هـذه الـدول بالبحث فى النظريات البعيدة عن الواقع .

أما عن تصـور طلقانى لموقف الإسـلام تجاه الحرب فهو يرى أنه رغـم عداء الإسلام للحرب من حيث المبدأ إلا أنه فى ظل معطيات عالمية لايتحكم فيها الإسلام فإن الإسلام لايتحقق إلا عندما يتحقـق أمن البلدان الإسلامية فى شكل معاهـدات سلام مع الدول غير الإسلامية . (٤٤)

ولكن الإسلام يطـالب ، فى تصور طلقانـى ، بالجهاد فى سبيل الله ، وهـو دفاع عن مبدأ وحق ووطن . و « سبيل الله » فى رأى طلقانى هو كل مايؤدى لرخاء البشرية ، هو طريق الحريـة والحق والعدل حيث لاتستطيع طبقة أو جماعة أو فـرد فرض هيمنتها على البشر وإعـاقة التطـور الفكـرى والروحـى للمجتمعـات البشرية أو تحول بين البشريـة وحقها فى الانتفاع بموارد الكون التى خلقها الله للبشر ككل . (٤٥) وهنا يقترب طلقانى مـن تفسير شريعتى للحـروب التى تتـم بين الكادحين مـن دول مختلفة لصـالح طبقـة الحكام والمستغلين ، إلا أن طلقـانـى يـركـز على حمايـة التطـور الفكـرى والـروحـى للمجتمعات البشرية أكثر من الجانب المادى .

ويعتبر طلقانـى أمر الجهاد فى سبيـل الله هو جهاد لتحـرير الإنسان ، وإنـه يندرج تحت العبـادات فى إطار الفقـة الإسلامـى . ويـرى أن الناس فى هـذا العالم تنقسـم إلى مـؤمنين ومشركين ، وإن المشركين هـم أتبـاع الطـاغـوت الـذى يهتـك بكـل الـروابـط

والالتزامات الاجتماعية ويمثل الاعتداء على الحق والانحراف عن الصراط المستقيم . والجهاد كما ذكر الرسول ـ ﷺ ـ يبدأ داخل النفس البشرية ضد الطاغوت والأنانية . ويطالب طلقانى المسلمين بالابتعاد عن الغزو والتدخل فى أراضى الآخرين ، ولكنه يطالبهم بالجهاد لتوصيل صوت الإسلام إلى كل البشر ولتحرير هؤلاء البشر من أى أغلال تعوق حياتهم الحرة . فيجب على المسلمين القضاء على كل الطبقات والقوى التى تستغل هؤلاء البشر وتعتدى على حرية تفكيرهم وتضع الشعوب فى حروب مع بضعها البعض . لذلك كله يطالب طلقانى بالجهاد لإخراج البشر من العبودية للقوانين البشرية إلى العبودية لله . (٤٦)

ويذكر طلقانى أن الإسلام يهدف لإصلاح العالم كله وإقامة العدل فى الأرض، والسلام يحل مع الذين يسلمون والذين يرفضون اعتناق الإسلام ولكن يتبعون النظام الإسلامى العام بحيث يصبحون ذميين ولهم نفس حقوق المسلمين . (٤٧)

ويضيف طلقانى إلى هذا النوع من الجهاد أنواعا أخرى ، فيرى إمكان حدوث الجهاد عندما تتعدى أقلية دينية حدود وضعها الذمى بأن تجور على المسلمين أو تتعاون مع أعدائهم أو تبنى دور عبادة جديدة لها . وكذلك يبيح طلقانى ـ بل ويحبذ ـ الجهاد ضد الاستبداد إذا لم يؤد نصح المسلمين للمستبد بالتخلى عن استبداده إلى نتيجة . وفى هذا الإطار يشير طلقانى أنه لهذا السبب فإن الأحاديث النبوية اشترطت وجود سلطة عادلة لإعلان الجهاد ، وذلك كضمان بألا تكون الحرب لتقوية نظام مغتصب وقاهر . والسلطة المستبدة هى تلك التى تحلل ماحرم الله وتعادى ما أمر به الله ورسوله وتحتكر ثروات المسلمين ، وإن الجهاد واجب على كل مسلم وإلا تعرض لعذاب مماثل لما سيتعرض له المستبدون . (٤٨)

ويعطى طلقانى أيضا الحق فى الجهاد للذين تعرضوا لغزو أو قهر وطردوا بغير عدل من أرضهم لأنهم قالوا ربنا الله ، ويجب أن يستقروا فى أرضهم ليقيموا شرع الله وعباداته . ويربط كذلك بين الحج والجهاد فيرى أن التضحية فى الحج تعنى أن يكون المسلم دائماً مستعدا للتضحية بنفسه فى الجهاد من أجل أن تسود وحدة البشرية ومساواتها فى الواقع اليومى للمجتمعات كما هى فى الحج . ولذلك يرصد طلقانى مجىء آيات الجهاد بعد آيات الحج والتضحية فى القرآن الكريم .

ويحسن فى هذا الإطار أن نتعرض لموقف طلقانى من مسألتى الاستعمار والصهيونية على النحو التالى :

(١) موقفه من الاستعمار :

عندما عذب آية الله محمد رضا سعيدى حتى الموت عام ١٩٧٠ بعد تنديده علنًا بالنهب الذى تمارسه المؤسسات الأمريكية لثروات إيران ، دعا طلقانى لتنظيم تظاهرات إلا أنها أعلنت غير قانونية بواسطة السلطات آنذاك واعتقل طلقانى .

فطلقانى يرى أن المسلمين ضعفاء وتابعون لأنهم محكومون من العالم ، ويجب أن يتحولوا إلى شهداء إذا شاءوا حكم العالم ، ويعتبر أن سبب تخلف حياة المسلمين واقتصادهم وثقافتهم هو استسلامهم للمستعمرين الأجانب والحكومات التابعة لهم . وفى نظره ، فإن النظام الطبقى الرأسمالى قد أنشىء فى البلدان الإسلامية بشكل يحتم التبعية للغرب ويفتح الباب أمام التأثير الغربى .[٤٩]

ويعتبر طلقانى نفسه « مصدقيا » نسبة لرئيس الوزراء مصدق ، وبمعنى تأكيد هدف الاستقلال الوطنى بعيدًا عن الاستعماريين الغربى والشرقى اللذين يرى الخلاص منهما فى الإسلام ،[٥٠] كما يتهم الاستعمار الغربى بتوسيع الهوة وتضخيم الخلافات بين الإسلام والشيوعية .[٥١]

ورأى طلقانى فى الثورة الإيرانية إيقاظًا للعالم الإسلامى والشرق كله اللذين يعانيان من الإذلال والاستعمار . وقد طالب منذ الأيام الأولى لانتصار الثورة بوحدة القوى الثورية لمواجهة التهديد الإمبريالى ، على ألا تكون هذه الوحدة على حساب الحقوق السياسية لكافة قوى الثورة . واعتبر طلقانى كل ثورة تقوم فى أى بقعة من العالم ضد الاستبداد والإمبريالية ثورة إسلامية ، ورأى أن الشعوب المقهورة فى العالم تمثل الإرادة الإلهية التى أمرت بنصرة المستضعفين فى الأرض. واعتبر ثورة إيران هى ثورة المستضعفين الأم فى العالم كله .

(٢) موقفه من الصهيونية :

كان طلقانى من أبرز المعادين الأوائل للصهيونية وداعية لقضية الشعب الفلسطينى فى إيران . وقد ربط دائمًا بين مساعدة نظام الشاه لإسرائيل ، وانتفاع الصهيونية العالمية من ثروات مسلمى إيران التى ينهبها هذا النظام وبين محاولات تغريب المرأة الإيرانية فى الزى والتفكير من جانب الصهيونية . وأثار كثيرا الشعب الإيرانى ضد يهود إيران باعتبارهم الطبقة المترفة فى المجتمع والمكونة من الرأسماليين والمضاربين .[٥٢]

وأشار طلقانى إلى اعتماد إسرائيل الكامل على ما أسماه بالإمبريالية الأمريكية واعتبر الصهيونية الشكل الجديد للاستعمار ، والبهائية الوجه الداخلى فى إيران لإسرائيل والصهيونية ، وأوضح أن البهائية تشكل ركيزة للنظام البهلوى .

وقد أدان طلقانى تعاون نظام الشاه مع إسرائيل واستيراد خبراء زراعيين إسرائيليين بدل الاستعانة بأمثالهم من الدول الإسلامية ، واعتبر الصهيونية وتغلغلها فى كافة مناحى الحياة الإيرانية أخطر تهديد لإيران .

ووصف طلقانى قضية القدس بأنها قضية الحرية الإنسانية عمومًا ، وإن الصهيونية حولتها لمركز عنصرية وقهر وأنانية ، لذا يجب على اليهود والمسيحيين الحقيقيين أن ينضموا للمسلمين لتطهير مركز التوحيد هذا من أجل الحرية الإنسانية . وطالب طلقانى بإبقاء القدس ملكًا لكل الأديان السماوية ، وأهاب بالجماهير المسلمة بالاستعداد والتسلح ليوم الزحف لفلسطين رغم ألاعيب الحكومات . [٥٣] وقد ندد طلقانى بالعدوان الإسرائيلى ضد المسلمين ، خاصة شيعة لبنان وطالب بالاستجابة لأولئك المستضعفين . وقد اتهم اليهود بأنهم يكبرون فى ظل التعصبين الديني والعرقى وبدون أى قوة روحية ويعتبرون العالم بما فيه ومن فيه ملكًا لهم .

بل إن عداء طلقانى لإسرائيل بلغ أنه فى خطاب له فى نوفمبر عام ١٩٧٨ ذكر أن القوات التى تطلق الرصاص على المتظاهرين ليست إيرانية ، بل إسرائيلية فى زى ايرانى، ومسلحة ومدربة بواسطة الولايات المتحدة والغرب . [٥٤]وكان ذلك التوجه بصفة عامة متفقا مع جو متزايد من الوعى الإسلامى والعداء للصهيونية فى إيران .

رابعا ـ معالجة طلقانى للمسألتين الاقتصادية والاجتماعية :

يعتبر كتاب طلقانى « الإسلام والملكية » والذى ظل محظورًا طوال فترة الحكم البهلوى هو دليلنا الأساسى لفكره الاقتصادى والاجتماعى . وقد قرر فى هذا الكتاب أن الإسلام لا يماثل أى مذهب آخر فى الاقتصاد نظرًا لأن كلا من الرأسمالية والماركسية نتاج لتذبذبات حدثت فى الاقتصاديات الغربية .

ويحدد طلقانى عددا من المبادئ التى تحكم ــ على حسب رأيه ـ موقف الإسلام من هذه المسألة ، وهى :

١ ـ يرى أنه فى حين يعتبر الإسلام الإنسان مالكًا لثمرة عمله فإن ذلك يتم فى إطار التعاليم الإسلامية التى تنظم الاستفادة بتلك الثمرة . فالفرد الذى يعى مسئولياته

تجاه المجتمع له حق التصرف فى ثروته المشروعة . وهنا يضع طلقانى الإيمان الفردى والالتزام الأخلاقى وهما عنصران ذاتيان أساسًا لأى سياسة اقتصادية . وبخصوص المال الجارى والقواعد المنظمة للمعاملات الاقتصادية فى المجتمع فإن الحاكم منوط به أن يتصرف فيها أحيانًا كمالك وأحيانًا أخرى كمراقب . ويضع الإسلام قيودًا على كل من المال العام والمال الخاص بغرض إقامة نظام عادل يتفق مع الفطرة البشرية .

٢ ـ الإسلام يربط الأخلاق بعلاقات الملكية وحقوق الفرد الاقتصادية ويرى أنه يجب رؤية الروابط الاقتصادية فى ضوء الغايات الأساسية لكل مجتمع ، وإنه لايمكن حل المشكلة الاقتصادية بمعزل عن إطاريها الاجتماعى والإنسانى الأشملين وهو هنا يناقض مفهوم الحتمية الاقتصادية للماركسية .

٣ ـ ينبع حق الملكية فى الإسلام من العمل ، وللحكومة الإسلامية تحديد الملكية الفردية إذا تهددت مصالح الجماعة وهى ذات أولوية على مصالح الفرد .

٤ ـ وللفرد اختيار عمله والتصرف فى ناتج عمله وثروته فى إطار الحدود الشرعية للتصرف والملكية ، وللحاكم تحديد مجالات توزيع ما أنتج ، والحد من المكاسب غير المحدودة . ويرى طلقانى أنه إذا منع الفرد من التصرف فى ناتج عمله فسينعدم لديه الدافع لمزيد من الإنتاج ، وليس مقبولاً أن يوضع هذا الناتج فى خدمة الرأسمالى أو الدولة .

ومن ناحية أخرى يؤكد طلقانى على ضرورة تأمين احتياجات من لايستطيعون العمل، أو لاينتجون من العمل مايكفيهم .

٥ ـ يؤكد طلقانى على أن ملكية أرض تأتى من استغلال فرد لها ، ولكن إنتاجه يجب أن يكون لفائدة سائر الناس الذين يحتاجون إليه . وبالإضافة لحظر الأنشطة الربوية وشبه الربوية ، فإن طلقانى يرى أن الإسلام يرفض أى كسب بدون عمل .

وعلى الدولة الإسلامية أن تضمن تحديد أسعار السلع بما يعكس قيمتها الحقيقية ، وضمان عدم حدوث كنز للسلع لتحقيق مكاسب أعلى ، أو كنز للمال يحول دون دورانه فى مشروعات اقتصادية أخرى .

ويشير طلقانى إلى جزية الخراج على الأرض الزراعية والتى ترك تحديدها للمصلحة العامة ، كما فرض الإسلام الخمس على ملاك الثروات المعدنية .

وطالب بتدخل الدولة لضمان حقوق العمال والفلاحين للتمتع بناتج عملهم مع

عدم تدخلها ، أو تدخل الرأسماليين ، لتحديد أجر العامل أو ساعات عمله .

ويعطى طلقانى للحكام الحق فى الاستيلاء على أراض اكتسبها أفراد بطرق غير شرعية . وطالب بأن توجه ضرائب منطقة معينة لسد احتياجات المحتاجين فى نفس المنطقة . وحث الحكومات الإسلامية على إبقاء حق ملكية الأرض الزراعية فقط طالما تتم زراعتها ، وإعطاء الفلاحين حق التنقل بين المزارع لاختيار أفضل أجر .

ويؤكد طلقانى رفض الإسلام لنمط الملكية الاقطاعى ، وبالتالى لايجب أن تتصرف الحكومة كحام لمصالح ملاك الأراضى .

٦ ـ نظرا لاختلاف مهارات كل فرد عن الآخر لتباين ما وهبه الله له ، فيجب عدم حقد مجموعة على مجموعة أخرى من البشر .

٧ ـ يطالب طلقانى الدولة بتحديد أشكال الاستهلاك بما يؤدى لإنتاج ماهو مفيد وحظر أى إنتاج مفسد للفرد والمجتمع ، لأن زيادة استهلاك المنتجات الضارة (خمر، تبغ ، فنون منحرفة) يوجه موارد الإنتاج لهذه المنتجات الضارة ، ويهيمن الفقر المعنوى على المجتمع .

٨ ـ يرى طلقانى أن مشكلة المجتمعات الحديثة تكمن فى تعظيم قيمة الكسب المادى وتزايد ممارسة الاحتكار والربا سواء من جانب الأفراد أو الدول . أما الإسلام ، فيرى أنه يقر حرية الاختيار فى العمل ووجود علاقة متكافئة قائمة على المساواة فى الحقوق بين المالك والعامل . ويطالب طلقانى بأن يكون للعمال والفلاحين نصيب من الربح (المشاركة) أو أجر ثابت . ويذكر قاعدة فى الفقة الاسلامى بأنه إذا اختلف المالك والعامل حول أجر العامل أخذ برأى العامل .

٩ ـ يعتبر طلقانى طبقة الطفيليين عاملاً معوقًا للحرية الحقيقية للأفراد وتجعلها تعبيرًا عن مصالحها الطبقية . ويؤكد أن الإسلام يهتم بتربية شخصية الفرد فى حد ذاتها وليس كمجرد جزء من الجماعة ككل .

١٠ ـ قدم الإسلام ـ من وجهة نظر طلقانى ـ مبادىء ثابتة فى الاقتصاد مصحوبة بقواعد قابلة للتطور لأنها تعالج مسائل جزئية ومتجددة ويجب أن تلتزم بالمبادىء الإسلامية الثابتة وتهدف للرخاء العام .

١١ ـ يرى طلقانى أن صمت الفقه الإسلامى جعل البعض يعتقد خطأ أن الإسلام يقر الرأسمالية[٥٥] . ويتهم الرأسمالية بأنها وظفت الفن والعلم والحرب والأخلاق لزيادة الثروات فقط . ويؤكد ان الإسلام لايعمل لصالح فرد أو طبقة على

حساب الآخرين ، ويطالب علماء الدين باستجلاء قيم الحق والعدالة من المصادر الإسلامية المختلفة وباجتهاداتهم . ويوضح طلقانى أن مبدأ القسط فى الإسلام يعطى كل ذى حق حقه ، ويقر التوزيع العادل للثروة ، وأن نشأة النظام الطبقى كانت بسبب الانحراف عن القيم الإسلامية الحقيقية وإعلاء صوت مفاهيم الاستغلال والاستعمار . ويذكر أنه بقدر ما رأينا مجتمعات لاطبقية فى مراحل تاريخية مختلفة بقدر ما تتأكد حقيقة أن نشأة المجتمع الطبقى ليست حتمية تاريخية ، ويطالب جماهير المسلمين بمعاقبة الإمبرياليين والرأسماليين المستغلين .

١٢ ـ بما أن الإنسان ممثل الله مالك الأرض وماعليها ، فإنه ليس مستقل التصرف فى ثروته ، بل يجب أن يكون ذلك وسيلة لتحقيق أهداف إنسانية عامة . واعتبر طلقانى أن تكريس الثروة كهدف للعلاقات الاقتصادية برر أى قهر مورس لتحقيق هذه الغاية . ويطالب طلقانى كل فرد بأن يأخذ من موارد الحياة ما يحتاجه بالقياس لقدراته الفكرية ، والفيزيقية على أن يجعل ماينتجه من هذه الموارد فى متناول يد المجتمع ، لكل حسب حاجته ، مما يقلل من قيمة الطموحات الدنيوية مقارنة بأهمية السمو الروحى والأخلاقى للأفراد استعدادًا ليوم الحساب . (٥٦)

ويعطى طلقانى المثال من المدينة المنورة فى عهد الرسول ـ ﷺ ـ حيث أعطى الأنصار جزءًا من ثرواتهم الخاصة للمهاجرين بقرار من الحاكم ، وباستثناء ثروات محدودة آل الباقى للدولة ، وقسمت ثروة الدولة بالتساوى بين الأفراد ، لكل حسب حاجته مع وجود قسم مخصص للمجاهدين فى سبيل الله . (٥٧)

١٣ ـ يطالب طلقانى الدولة بالاستيلاء على ثروات أى شخص لايوظفها فيما هو شرعى ومفيد للمجتمع . كما يشير إلى واجب الدولة فى التدخل فى النشاط الاقتصادى لمنع الاحتكار . ويطالب المسلمين بمساعدة بعضهم البعض لأن ضعف بعضهم سيضعف الجماعة ككل . كما يطالب طلقانى بوضع حدود لاتتعداها فئات المجتمع المختلفة حتى لاتتحكم فئة فى المجتمع ، ولذا يجب إحداث توازن بين الحكام وأصحاب الملكية الاقتصادية والمثقفين .

١٤ ـ يذكر طلقانى أنه فى المجال الاقتصادى فإن الإسلام والاشتراكية متفقان فيما يراه الإسلام بأن الله لم يقسم البشر إلى مستغلين ومستغلين (بفتح الغين) ، فى حين

أن الرأسمالية تـزيد الاستغلال . [٥٨] ويشير طلقانـى إلى ما ذكـره القرآن مـن أن مصير الـذين يقـاتلون المجـاهـدين مـن أجـل القسط يتسـاوى مع مصير قتلـة الأنبياء ، وهو مايؤكد مركزية مفهوم « القسط » فى الإسلام . [٥٩]

وعلى المستوى العملى فيـذكر لطلقانـى موقفه المميز فى بـداية الستينات تجاه مسـألة قوانين الشـاه للإصلاح الـزراعى . فقد قـدم طلقانى بـديلاً بناء لهذه القـوانين حيث لم يدافع ـــ كبعض رجال الديـن الآخرين ـ عـن مصالح رجال الـدين كملاك بل طـالب بالأخذ فى الاعتبـار مصالح الفلاحين ، مصالح الأوقـاف الدينية ـ التى كـانت مصدر رزق للكثيرين من فقراء الريف ـ وفى النهاية مصالح الشعب الإيرانى ككل . [٦٠]

ويمكن أن نخلـص من هذا العـرض والتحليل لفكـر آية الله طلقانـى الاقتصادى والاجتماعى أنـه مثل امتـدادًا فى بعض المسـائل لمحاولـة المفكريـن الإسلاميين فى إيجاد مكان وسـط للإسلام ، على طـريق الموازنة بين مصالـح الفرد والجماعة مـع ضمان بقاء واستقرار ورخاء الجماعة ككل ، وكذلك فى مسألة أولوية الغايات والقيم الأخلاقية على الأهداف الاقتصادية البحتـة ، كما هو الحال مع كافة مناحى الحياة الـدنيوية الأخرى ، وفى تأكيـد دور الدولة فى تطبيـق أحكام الشرع والأمر بـالمعروف والنهى عـن المنكر فيما يختص بالمسـائل الاقتصاديـة والاجتماعيـة . كما مثل طلقـانـى تأكيـدًا لقيمة العمـل الأساسية فى الحياة الاقتصـادية ، ولدور الدولة فى نشر الرفاهيـة الاجتماعية والاقتصادية خاصة لغير القادرين .

ولكن ذاتية طلقانى الفكرية فى هذا المجال تبرز فى رفضه الصريح للرأسمالية وتركيزه على إدانـة الاحتكار والاستغـلال الاقتصادى والطفيليـة والأولويـة التى أعطـاها لقيـم العدل والقسط . كما أنه أوضح انتماءه للرأى القائل بوجود مبادئ ثابتة وقواعد متغيرة فى معالجة الإسلام لكـافة الشئون الدنيويـة ، والاقتصاد من بينها . وإذا كان طلقـانى قد أوضح الانعكاس الاقتصادى والاجتماعى لكون الإنسان خليفة الله على الأرض ، فإنه لم يحسم اختياراته أو آراءه بوضوح حول الموقف من النظام الطبقى من حيث المبدأ .

ملاحظات عامة :

لقد لعـب آية الله طلقـانى دورًا فى الثـورة الإيرانيـة إعدادًا وفكـرًا ومشاركـة فى قيادة الأحـداث . وكان ذلـك امتـدادًا لأدواره الوطنيـة ضـد الاستعمار والاستبـداد ولصالـح الاستقلال السياسى والحضارى والاقتصادى منذ بدايات الخمسينات .

وبما عرف عنه من استقلال فى الرأى والاجتهاد ، فإن طلقانى نجح فى تسييس وتثوير مفاهيم إسلامية وشيعية تقليدية . كما أنه وإن لم يكن على وفاق تام مع الكثير من رجال الدين الإيرانيين الذين برزوا بعد الثورة ، فقد كان ابنا وفيا للمؤسسة الدينية الإيرانية مؤكدًا الدور الرئيسى للعلماء فى المجتمع ، مؤيدًا لقيادة آية الله الخمينى ومتمشيًا مع اتفاق رجال الدين بانتخاب مجلس خبراء لإعداد دستور الثورة رغم رفضه للفكرة من قبل . وكان واضحًا لدى طلقانى وفى كتاباته ضرورة تفاعل المسجد مع المجتمع ، بالإضافة إلى استلهامه للتراث الإسلامى الشيعى الأول .

وفى إطار فكره السياسى والاقتصادى والاجتماعى فقد تنازعت اختيارات طلقانى فكرة الإجماع والوحدة والانسجام والتناغم بين كافة القوى السياسة والاقتصادية والاجتماعية تحت قيادة إسلامية من جانب ، ومفهوم الصراع بين أضداد من جانب آخر. وعكس تأسيسه لحركة تحرير إيران الفكرة الأولى بمحاولة تجميع قوى مختلفة تحت مظلة واحدة. ورغم ذلك فيمكن القول بأنه كان لطلقانى موقف واضح تجاه تأكيد الحريات السياسية والتعددية والمشاركة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنضال ضد الانتهازية والاحتكار والطفيلية سياسيًا واقتصاديًا . كما كان لطلقانى موقف مستنير تجاه معظم القوى السياسية داخل إيران . وقد ساعد طلقانى على تطوير مثل هذا الموقف تفاعله مع كافة طوائف الشعب من عمال وطلبة ورجال الدين والمثقفين والأقليات القومية .

وقد عبر طلقانى بعمق عن تفاعل الفرد والمجتمع سواء فى حالات الاستقرار أو التغيير وأكد أولوية القيم العقائدية والأخلاقية سواء على مستوى الفرد أو المجتمع فى كل هذه الحالات كما أكد الإرادة الفاعلة للبشر .

وكان تعريف طلقانى الواسع للجهاد متصلاً بتفسيره الممتد عالميًا لمفهوم «المستضعفين » وبتفسيره السياسى والاجتماعى لأسباب الحروب . إلا أن طلقانى كان يعى دائمًا أولوية الحفاظ على قوة الثورة فى إيران كبداية .

كما كان طلقانى صارمًا فى عدائه للاستعمار بكافة صوره ، ولإسرائيل وخاصة من حيث ربط هذا العداء بأسباب داخلية فى إيران سواء أحداث أو مشاكل بعينها .

ومن الهام أن نترقب ما ستأتى به الأيام القادمة فى إيران من إجابات حول أسئلة طرح طلقانى رأيه فيها ، خاصة مايتصل بالمشاركة سياسيًا واقتصاديًا وبدور رجال الدين وبمفهوم الجهاد وتحديث الفقه وتعظيم القيم الروحية والأخلاقية على ما دونها .

الهـوامـــش

(١) **Societe & Economics in Islam : Writings & Declarations of Ayatollah Sayyid Mahmoud** Taleghani, Trans R. Capbell. Introd. Hamid Algar (Berkeley : Mizan Press,1982), p. 48

(٢) Ibid. p. 58 (٣) Ibid.

(٤) Economics & Society in Islam , op. cit., p.92.

(٥) Nikki R. Keddie : Roots of Revolution (New Haven & London : Yale University Press, 1981), p.211

(٦) Suroosh Irfuni, **Revolutionar Islam in Iran** (London : Zed Press, 1983), pp. 91,183. See also : Edward Mortimer, **Faith and Power** (London : Faber and Faber , 1982 , pp. 333 - 334.

(٧) **Economics and society in Islam** , op. cit.

(٨) Ibid.

(٩) **Economics and Society in Islam**, op.cit. p.12.

(١٠) bid, pp.12 - 13.

(١١) keddie, op.cit,. p.210

(١٢) ـ برفاند ابراهميان . أسباب الثورة الإيرانية ، فى إيران ١٩٠٠ ـ ١٩٨٠ . بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٨٠ ، ص ١١٢

(١٣) " Everything positive has come from the masses below ", **MERIP Reports,** june 1980. p.11.

(١٥) **Economics and Society in Islam,** op. cit., p.129 .

(١٦) Ibid, p. 135.

(١٧) Ibid, p.16.

(١٨) .Suroosh Irfani, Revolutionary Islam in Iran (London : Zed Press, 1983, P 184. See also Edward Mortimer, Faith & Power (London : Faber & Faber, 19 , p. 334
انظر أيضا : د. محمد السعيد عبد المؤمن . مسألة الثورة الإيرانية (القاهرة : بدون ناشر ، ١٩٨١) . ص ١٠٩ ابراهميان . مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨

(١٩) **Economics and Solciety in Islam,** op.cit., p.20

(٢٠) Mortimer, op. cit., p.334. See also keddie, op.cit., pp.210 - 211 See also : Micheal M.j. Fischer, **Iran : Form Religious Dispute to Revolution** (Harvard Massachussetts : Harvard University Press, 1980) pp. 219 - 220

(٢١) Ramy Nima : The Wrath of Allah (London : Pluto Press, 1983) p.88. See also Shahrzad Azad, " Workers & Peasents Counsils in Iran " , **Monthly Review,** October 1980 , p.17.

(٢٢) Irfani, op.cit., p.145. See also Keddie, op.cit ., p.210.

(٢٣) محمد السعيد عبد المؤمن ، مصدر سبق ذكره ص ١١٠ ـ ص ١١١

(٢٤) Mortimer, op.cit., p.334. See also Irfani, pp.143,184.

(٢٥) Economics & Society in Islam, op.cit., pp. 13 - 14.

(٢٦) Irfani, op.cit., pp.38,89. See also Kambiz Afrachteh, "Iran", in **Politics of Islamic Reassertion**, ed. Mohamed Ayoob (London, Groomhelm) , pp.103 - 104.

(٢٧) Economics & Society in Islam, op.cit., pp. 18 - 19

(٢٨) Keddie, op.cit., p.210. See also Union of Muslim Iranian Student Societies Outside Iran, **Massoud Rajavi : A People's Mujahid** (n.p..,n.p., 1982), p.90

(٢٩) Mortimer, op.cit., p.334. See also Ervand Evand Abrahamian : **Iran Between Two Revolution** (Princeton, New Jersey, Princeton University Press, 1982), p. 451

انظر أيضا : محمد السعيد عبد المؤمن ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١١

(٣٠) Fischer, op.cit., p. 183. See. also Keddie, op. cit,. pp. 121 , 213

(٣١) Irfani, op.cit., p. 143

(٣٢) Fischer, op.cit., p, 222

انظر أيضا : محمد السعيد عبد المؤمن ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٠ ـ ص ١١١

(٣٣) Economics & Society in Islam, op.cit., p.15.

(٣٤) Ibid , p.48.

(٣٥) Irfani, op.cit., pp. 143, 144, 146. Keddie, op.cit., pp. 211. 212.

(٣٦) Economixs & Society in Islam, op.cit., pp

(٣٧) Ibid, p. 17.

(٣٨) Ibid, p. 53.

(٣٩) Afrachteh, op.cit., pp. 102 - 103.

(٤١) Mortimer, op. cit.,

(٤٢) Economics & Society in Islam, p. 215.

(٤٣) Ibid, pp. 43, 44, 118 - 119.

(٤٤) Ibid, p.79.

(٤٥) Ibid, p.84.

(٤٦) bid, p.86.

(٤٧) Ibid, pp.97.

(٤٨) Ibid, pp.13,49.102.

(٤٩) Abrhamian, op.cit., p.460.

(٥٠) Keddie, op. cit.

(٥١) Economics & Society in Islam, p. 89.

(٥٢) Ibid, p.139.

(٥٣) Ibid

(٥٤) Economics & Society in Islam, op.cit., p.56.

(٥٥) Ibid, p.58.

(٥٦) Ibid.

(٥٧) Ibid.

(٥٨) Irfani, op.cit. See also : Mortimer, op. cit.

(٥٩) Irfani, op. cit. p. 146.

(٦٠) Mortimer, op. cit., p.317.

الفصل الثالث

الجذور الفكرية للسياسة الخارجية الإيرانية

يصاب بعض المراقبين للسياسة الخارجية الإيرانية أحيانـا بالدهشة نتيجة ما يصفونه بتناقض مواقف السيـاسة الخارجية الإيرانية . إلا أنه من الهام توضيـح أنه رغم مايعرف عن إدارة الرئيس رفسنجـانى من الواقعية والبراجماتية ، فهناك أمـور يصعب إبراز المرونة فيها نتيجة أنه تحكمها توجيهات ذات طبيعة ايديـولوجية صدرت أساسا بواسطة آية الله الخمينـى أثنـاء حيـاتـه ومفكـريـن إسـلاميين آخـريـن أثـروا على فكـر الجمهـوريـة الإسلامية . ولاتأتى أهمية أفكار الخمينى التى سيشـار إليها أساسا فى هذه الدراسة ـ مع الإشارة إلى مفكرين آخرين ـ فقـط للدور المركزى الذى لعبه فى الثورة ، وإنما أيضا لأن كافـة الشخصيات القياديـة فى الحكم فى إيران سواء أثنـاء حياته ، أو بعـد مماته قـدموا آراءهم بـوصفها تفسيرات وشروحـا لفكر الخمينـى ، وسعوا إلى جعـل أفكار الخمينـى السند الشرعى للسياسات التى تبنوها .

ولاشك أن الايـديولوجيـات تشكل أحد المؤثرات الهامـة على عملية صنع السيـاسة الخارجيـة ، خاصـة عنـدما يتـعلق الأمـر بالتـوجهـات والقناعـات الايـديـولوجيـة للقيادات[1] .

أولا : التصور الفكرى للعلاقات الدولية

اعتبر الخمينى الحرب ظاهرة استثنائية فى حياة الإنسانية . وقسم الحروب إلى ما أسماه بحروب « طاغـوتية » وحروب « توحيديـة » . وقد عرّف الأولى بأنها حروب تـدفع إليها الأنانية والشهوات الـدنيوية ورغبة القوى العظمى فى السيطـرة على الآخرين ، فى حين عرّف الحروب « التوحيدية » بأنها إما حروب دفاعية للحفاظ على الاستقلال ، أو جهاد يقوده المؤمنون للتوسع ولإصلاح البشرية . وقـد اشترط الخمينى وجـود الإمام لسن هذا الجهاد ، ونفـى الخمينى إمكـانية قيـام حرب فيها بين المؤمنين .[2] ونتيجة لذلـك كان المأزق عندما قامت الحرب مع العراق ، فإما ان يُعرّف العراقيون بأنهم غير مؤمنين وإما أن يعترف بهم كمؤمنين ، مما يفتح الباب لوساطة بقية الأمة الإسلامية .

وقد تحدث الخميني عما أسماه بالإمبريالية الشرقية والإمبريالية الغربية ، ونظر إلى النظام الدولي القائم كنظام ثنائي القطبية ينقسم بين السيطرة السوفيتية ، والسيطرة الأمريكية الغربية . واتهم الدول التي تسمى نفسها دولا غير منحازة بأنها تعتمد - إما علنا أو سرا على الشرق أو الغرب . كذلك اتهم الثورات السابقة في العالم الثالث قبل ثورة إيران بأنها ارتبطت إما بالشرق . أو بالغرب وقد اعتبر الخميني النظام الإسلامي هو النظام الوحيد غير المنحاز ، وبالتالي اعتبر الثورة الإيرانية هي وحدها غير المنحازة نتيجة اعتمادها على الإسلام وتبنيها لشعار « لاشرقية ولاغربية » . [٣] وقد أكد الدستور الإيراني لعام ١٩٧٩ مبدأ الحياد الإيجابي تجاه ماأسماه « بالقوى المتسلطة » في العالم . [٤] وقد ساوى الخميني بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كقوى استعمارية تعمل على استغلال العالم الثالث . وعكس مبدأ «عدم الانحياز » لدى المفكرين الإسلاميين في إيران رفض الايديولوجيات الشرقية والغربية المنشأ ، واتهامهم للقوى المستكبرة (أي القوى الكبرى) بمحاولة فرض هذه الايديولوجيات على العالم الثالث . [٥]

وقد اتهم الخميني القوى العظمى بالهيمنة على النظام العالمي للحفاظ على مصالحها « الأنانية » ، واعتبر هذه القوى مسئولة عن كل مايعانيه العالم من مشكلات وشرور بسبب امتثالها إلى ايديولوجيات ذات مصدر إنساني وليس إلهيا . وقد تنبأ الخميني بتحالف القوى الكبرى بجناحيها : الشيوعية الدولية والمعسكر الغربي بزعامة الولايات المتحدة ، وذلك في معركة مشتركة ضد الإسلام . [٦] واتهم الخميني أيضا الأمم المتحدة بأنها أداة في أيدي القوى العظمى تستخدمها الأخيرة ضد الدول الضعيفة . كما عبر عن رفضه للشرعية الدولية وقواعد العلاقات الدولية التي وصفها - ومن ورائه العديد من المنظرين الإسلاميين في إيران -- « بشرعية تسلط الدول المستكبرة » . [٧] وقد اعتبر أن القوى العظمى هي التي تحتاج إلى دول العالم الثالث وليس العكس ، وكان مثاله على ذلك هو النفط . إلا أنه لم يتعرض في هذا السياق إلى ضعف العالم الثالث من جهة التطور العلمي والتكنولوجي ، أو غياب الاكتفاء الذاتي في الغذاء وبعض الاحتياجات الأساسية الأخرى . وقد اتهم الخميني بشكل خاص القوى العظمى بالتآمر لتأييد إسرائيل : الغرب والولايات المتحدة بتقديم السلاح لإسرائيل ، والاتحاد السوفيتي بعدم تقديم السلاح الكافي للمسلمين . واتهم هذه القوى العظمى بأنها خططت لمذابح الفلسطينيين في الأردن عام ١٩٧٠ ، وفي لبنان بعد ذلك بهدف إبعاد الفلسطينيين عن دول المواجهة .

وقد اعتبر الخمينى إنشاء الحكومة الإسلامية فى إيران مجرد خطوة أولى تجاه إنشاء الدولة العالمية ، كما حث إيران بعد الثورة على دعم « المستضعفين » وحركات التحرير عبر العالم . وطالب حكومة إيران بأن يكون هدفها تحرير البشرية بأكملها[٨]. ومن جهة أخرى ، طالب المستضعفين المناضلين ضد هيمنة القوى الكبرى التى أسماها «بالشيطانية » فى كافة أنحاء العالم بدعم إيران التى أصبحت بعد الثورة - على حسب رأيه - مركزا للمقاومة ضد القوى العظمى . وحذر من أنه إذا تعرضت إيران للهزيمة ، فسيعنى ذلك هزيمة المسلمين والمستضعفين فى العالم بأسره . [٩]

ورفض الخمينى الإقرار بالحدود الجغرافية فيما بين الدول ، واعترف فقط بما أسماه بالحدود الايديولوجية ، وأكد أن خلاص البشرية يكمن فى تطبيق قوانين الله(الشريعة) . وقد قسم الخمينى العالم إلى معسكرين : مستكبرين ، ومستضعفين حيث يهيمن المعسكر الأول على الثانى والذى يضم بجانب المسلمين شعوب العالم الثالث الأخرى . وتنبأ الخمينى بأن ميزان القوى سيميل فى نهاية الأمر لصالح المستضعفين إذا توحدوا للخلاص من سيطرة المستكبرين ، ولتحقيق السلام والأمن فى العالم وتنفيذ وعد الله بالإمامة والحكم للمستضعفين فى الأرض . [١٠] كما أن المفكر الاسلامى الإيرانى الدكتور على شريعتى ـــ والذى توفى عام ١٩٧٧ ، ولكنه يعتبر المنظر الثانى للثورة الإيرانية بعد الخمينى - كان قد رأى الإسلام كرسالة عالمية موجهة لكافة البشر ، وانتقد انقسام المستضعفين عبر العالم من خلال حدود وطنية مصطنعة ، كما انتقد محاربة المستضعفين بعضهم البعض لحساب القوى المستكبرة ، وطالب بثورة عالمية من أجل العدل والحرية يقودها المستضعفون فى العالم . [١١]

ويتضح أن شريعتى لم يصر - مثل الخمينى ـــ على أن يكون الإسلام وحده هو عقيدة هذه الثورة . حيث أنه نظرا لأنه تلقى تعليمه بفرنسا ، فقد تفهم وجود اختلافات دينية وثقافية بين المسلمين وبقية شعوب العالم الثالث ، مما يتطلب تعاونهما معا دون فرض طرف لأفكاره على الآخر .

وقد عكس الدستور الإيرانى لعام ١٩٧٩ ما سبق من أفكار ، حيث تحدث عن المسئولية الأخوية لإيران تجاه كافة المسلمين ، ودعمها المطلق لكافة المستضعفين عبر العالم . كما حدد الدستور فى ديباجته لإيران هدف السعى مع الحركات الإسلامية والجماهيرية الأخرى لبناء الأمة العالمية وإنقاذ المحرومين فى كل مكان على الأرض . كما اعتبر الدستور المجتمع الإسلامى فى إيران قدوة ونموذجا لكافة شعوب العالم . وأكد

الدستـور التزام إيران على العمل لإقـامة حكومـة العدل والحق فى كافة أرجـاء العالم ، وحماية الكفـاح الشرعى للمستضعفين ضـد المستكبرين فى أى مكـان على الأرض دون التدخـل فى الشئون الداخلية للـدول الأخرى . (١٢) ورغم تـأكيد الدستور الإيـرانى لما اعتبره « عالميـة » دور الثورة الإيرانيـة ، فإنه حـوى تناقضين مابين التـزام إيران بإقـامة حكومة عـادلة عالميا وبنـاء الأمة العالمية مـن جانب ، وبين تعهده بعـدم التدخل فى الشئون الداخلية للـدول الأخرى ، وهو مايعكس الاختلافـات فيما بين الفقهاء أعضاء مجلس الخبراء الـذى وضع الدستـور عام ١٩٧٩ ، ويعكـس أيضا مأزق التنـاقض بين الالتزامات الايـديولوجية لإيران كثورة والالتـزامات الدولية لإيران كدولـة . وهذا النوع الثانـى من الالتزامـات ربما يكون هو الـذى دفع الخمينى عقـب نجاح الثورة الإيـرانية بمطالبـة الحكومة الإيـرانية بالتعامـل مع كافـة دول العالم ، بما يحفظ استقـلال إيران ، وعلى أساس الاحترام المتبادل وبما لايتناقض مع القيم والقوانين الإسلامية . (١٣)

وإذا كـان الـدستـور الإيـرانـى قـد أكد عمـل إيـران لتحقيـق التصفيـة الكـاملـة للاستعمار، (١٤) فإن الـدكتور على شريعتى كـان هو الذى طالـب الدول الإسلاميـة بأن تكون طليعة النضـال العالمى ضد الاستعمار . وحذر شريعتـى من أن الاستعمار يسعى دائما لتجزئة الـدول الإسلامية والسيطـرة على كل دولـة إسلامية على حـدة ، كما يسعى لإضعاف عقيدة المسلمين وتدمير شخصيتهم الحضارية المستقلة ، وذلك حتى يتمكن من نهب الثروات الطبيعيـة للمسلمين ، وفتح أبواب بلادهم كأسـواق لمنتجات الدول الاستعمارية . واتهم شريعتـى الاستعمار الجديد باستخدام قـواه السياسية والاقتصـادية والثقافية لاستغـلال المسلمين والعالم بأسره . ورأى أن التناقـض بين الإسلام والاستعمار حتمى ونهائى لأن الإسـلام يدعـو للحق والعـدل فى حين تسعى الـدول الاستعمارية فى العالم لاستقرار سياساتها المستغلة . (١٥)

ثانيا : الموقف تجاه الولايات المتحدة.

وفيما يتعلق بالولايات المتحدة الأمريكيـة ، فقد أسماها الخمينى « بالشيطان الأكبر » واعتبرها أم الفساد فى العالم والعدو الأول لإيران والإسلام عسكريا وسياسيا واقتصاديا ، وأن المعركة بين الجانبين هى معركة الإسلام فى مـواجهة الكفر . واتهم الخمينى الولايات المتحـدة بـاستغـلال ونهب ثـروات الشعـوب ، ومحاولـة فـرض هيمنتهـا السيـاسيـة والاقتصادية والثقافيـة والعسكرية . (١٦) ووصف الخمينـى أية عـلاقة تقـوم بين إيران

والولايات المتحـدة بأنها علاقة بين ظالم ومظلـوم . وقال إن الولايات المتحـدة هى التى تحتاج لإيران ونفطهـا . وطالب إيران بإنهاء تبعيتهـا للغرب والولايات المتحـدة عسكريا واقتصاديا(١٧) . واعتبر الخمينـى دفاع الـولايـات المتحدة عـن الـديمقـراطية وحقـوق الإنسان ستارا تحاول أن تخفـى به أطماعها ، (١٨) وأعرب عن تخوفه مـن محاولة الولايات المتحدة احتواء الثورة الإيرانية وتدميرها .

وقد جاءت فضيحة إيران جيت لتشكل ضربة لمصداقية الحكومة الإيرانية فى عدائها للولايات المتحدة . وسواء علم الخمينـى مسبقا بالاتصالات والصفقات بين الحكومتين الإيرانية والأمـريكية أم لم يعلم بها ، فإنـه ـ وسعيا للحفاظ على وحـدة الصفوف خلف الحكـم ـ صـور إيران جيـت بأنها نصر معنـوى للثـورة الإيرانيـة ، لأن معناهـا اعتراف الـولايات المتحـدة بأهميتهـا ، ولأنها مكنت مـن الحصـول على أسلحة دون تقـديم أيـة تنازلات . وجاءت فتوى الخمينى فى فبراير عام ١٩٨٩ ـ وقبل أشهر من وفاته ـ بإهدار دم الكاتب الهندى الأصل البريطانى الجنسية « سلمان رشدى » لكتابه الآيات الشيطانية ودفعه للحكومة الإيرانيـة لقطع علاقاتها الدبلوماسية مـع المملكة المتحدة فى مارس عام ١٩٨٩ نيتجة ما أسماه بموقفهـا العدائى من الإسلام دونما حساب لرد الفعـل الأمريكى والغربى المعادى ، جاءت هذه المواقف لتظهر التشـدد الايديولوجى للخمينى ، وعدم استعـداده لمهـادنـة الغـرب أو الأمـريكيين فيما يعتبره أمـرا يتصـل بـالقيـم الإسـلاميـة الأساسيـة ، حتى لو كانـت نتائج ذلك التصرف سلبيـة على إيران كدولة . وعقـب وفاة الخمينى ، ورغـم سعى بعض المسئـولين الإيرانيين ـ فى ظل قيـادة رفسنجانى الـواقعية والبراجماتية ـ لتحسين العلاقات مع الغـرب ، خاصة التعاون الاقتصادى والتجارى بما يحقق الاستقـرار والانتعاش داخليا ، فـإن القادة المتشدديـن خاصة فى البرلمان الإيـرانى عملوا على إجهاض أى تقـارب محتمل مع الولايـات المتحدة عندما أعـادوا إلى الأذهان مقولة الخمينى بأن إيران لن تمد يدها للولايات المتحدة حتى ولو تعرضت للموت .

ثالثا : الموقف تجاه الاتحاد السوفيتى :

فى ظل حقيقة أن الإيـرانيين لديهم حساسية تاريخية تجاه جـارهم القوى فى الشمال ، أعاد الخمينى تـأكيد أنه رغم كون المواجهة العـاجلة هى مع الولايات المتحـدة ، فإنه لم يستبعد أبدا مواجهة آجلة مع الاتحاد السوفيتى . (١٩) واتهم الخمينى الشيوعية بأنها ضد كـرامــة البشر ، وأن إيـران يجب أن تعتبر نفسهــا فى حــالــة حــرب مـع الشيــوعيـة الدولية . وحـذر من أن خطر القوى الكبرى الشيوعيـة والإمبريالية السوفيتيـة لايقل عن

الخطر الأمريكى . [٢٠] وقد تحدث القادة الايديولوجيون للثورة الإيرانية كثيرا عن خطة سوفيتية بعيدة المدى لبلقنة الخليج والمشرق العربى بهدف إنشاء دويلات صغيرة يسودها السوفيت . وبجانب الاهتمام الذى أبداه آية الله الخمينى بمسلمى الاتحاد السوفيتى ، والذى تبلور خلال فترة توتر العلاقات السوفيتية الإيرانيةمنذ عام ١٩٨٣ فى توجيه محطة إرسال إذاعى إلى مسلمى الجمهوريات السوفيتية الجنوبية ، فإن الدعاية الإيرانية تركزت ضد الغزو السوفيتى لأفغانستان ، واتهمت الغزو بأنه محاولة لاحتواء انتشار المد الإسلامى فى الجمهوريات السوفيتية الجنوبية المسلمة . [٢١] ولكن تجدر الإشارة هنا إلى ثلاث نقاط أساسية : أولا : إن الدعم الإيرانى للمجاهدين فى أفغانستان كان دائما أقل من الدعم الموجه لهم من باكستان ، وإن أحد الأسباب الهامة لذلك كانت الحسابات السياسية البحتة لرد الفعل السوفيتى تجاه ذلك الدور الإيرانى ، بالإضافة لكون غالبية مسلمى أفغانستان من السنة وليس الشيعة ، ثانيا : إنه حتى فى خضم الخلاف مع السوفيت ، كانت شخصية قيادية مثل رفسنجانى تؤكد على إمكانية ازدهار العلاقات الاقتصادية مع السوفيت دون تجاهل وجود نقاط خلاف مثل الخلاف العقائدى والخلاف حول أفغانستان ، [٢٢] وهو موقف يعكس حسابات رجل دولة ، وليس رجل دين يندرج ضمن قيادة ثورة عقائدية . أما النقطة الثالثة ، فهى أن الخمينى وجه رسالة إلى جورباتشوف قبل وفاته دعاه فيها للدخول فى الإسلام بعد أن ثبت فشل الشيوعية . وعلى عكس ما كان متوقعا من أثر سلبى لهذه الرسالة على العلاقات الإيرانية / السوفيتية ، فإن جورباتشوف رحب بها ، ورد بأن على مثقفى ومفكرى البلدين أن يتجادلوا فى هذا الأمر ، وهو رد اعتبره الخمينى إيجابيا لدرجة دفعته لاستقبال وزير الخارجية السوفيتى شيفرنادزه فى وقت كان قد توقف فيه عن استقبال مسئولى الدول الأخرى .

رابعا : إيران وقضايا العالم الإسلامى.

اعتبر الخمينى الوحدة الإسلامية هى السبيل للاستقلال والاعتماد على الذات ، وتحدث عن وحدة إسلامية تسمح باحتفاظ كل قطر باستقلاله الذاتى وحكومته الخاصة مع تعاون كل هذه الأقطار لمواجهة أعداء الإسلام . وقد تكون دعوة الوحدة بهذا الشكل قد هدف من ورائها الخمينى طمأنة حكومات الدول الإسلامية الأخرى بأن مفهومه للوحدة لايعنى توحيد المسلمين تحت حكم إيران الثورة وإسقاط كل حكومات الدول الإسلامية الأخرى .

وقد رأى الخمينى أن الإسلام لايعترف بالحدود بين الدول الإسلامية ، وأن مشاكل المسلمين تعود لتفرقهم وأن استمرار الفرقة بين المسلمين يحقق استمرار استغلال بلادهم ومواردهم الطبيعية من قبل القوى الاستعمارية . [٢٣] وقد اعتبر كذلك أن وحدة المسلمين هى طريقهم الوحيد لحكم العالم وإحياء حضارتهم . [٢٤] وطالب الخمينى المسلمين بالوحدة كشرط ضروى للتخلص من الوجود الصهيونى فى أراضى المسلمين . ولم ينس الخمينى أن يشير إلى خطورة الخلافات المذهبية والعنصرية فيما بين المسلمين ، وقد أعاد الخلافات بين السنة والشيعة إلى القوى الاستعمارية التى هدفت من وراء ذلك السيطرة على أراضى المسلمين ونهب ثرواتهم . واتهم نفس هذه القوى كذلك بزرع العداء بين العرب وبقية المسلمين ، وقد عبر الخمينى عن رفضه لمفاهيم الوطنية والقومية نظرا لأنهما كانتا فى أحضان الشرق والغرب وفرقتا كلمة المسلمين . واتهم القومية العربية بأنها أدخلت إلى المنطقة بواسطة الاستعمار الغربى ، وهى تقليد للغرب ومقطوعة الصلة بالإسلام . وقد اعتبر الخمينى انتصار الصهيونية دليلا على فشل المشروع القومى العربى . وحث الخمينى المسلمين على التخلص من انتماءاتهم العنصرية سواء عربا أو فرسا أو أتراكا والتوحد تحت راية الإسلام . [٢٥] ورغم هذه المطالبة فلم ينس الخمينى عندما كان يخاطب جمهورا عربيا أن يحيى العرب الذين شرفهم الله بأنهم أول قوم أنزل إليهم القرآن .

وقد بلور الدكتور على شريعتى هدف الوحدة الإسلامية كشرط لمواجهة الاستعمار وإعادة نصر بدر الذى حققه الرسول ـ ﷺ ـ على قريش عام ٦٢٤ م . كما شبه الاستعمار المعاصر بيزيد الخليفة الأموى الذى حارب الإمام الحسين . وهنا حاول شريعتى الربط بين الأحداث الكبرى فى التاريخ الاسلامى والشيعى والصراع ضد الاستعمار المعاصر . كما ربط شريعتى هذا الصراع بمفهومى « الجهاد » و«الشهادة» [٢٦] بكل ما لهما من دلالة دينية فى التراث الشيعى . وذكر شريعتى أن الوحدة الإسلامية تهدد المصالح الاستعمارية ، وأعطى مثالا لذلك التضامن الإسلامى عند فرض الحظر النفطى على الغرب إبان حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ . ودعا شريعتى الدول الإسلامية للوحدة فى كيان واحد يقوم بتحرير الأراضى الإسلامية المحتلة ، خاصة فلسطين . ومثله مثل الخمينى ، دعا شريعتى للوحدة فيما بين المذاهب الإسلامية ، خاصة بين السنة والشيعة . [٢٧]

وقد بلور الدستور الإيرانى فكرة الوحدة عندما أكد أن إيران ستقيم سياستها على

أساس السعى لتحقيق وحدة العالم الإسلامى على الأصعدة السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية . (٢٨)

وقد تعهد الخمينى بتصدير الثورة الإسلامية لكافة أنحاء الأرض ، ولكنه أكد فى مرات أخرى أن تصدير الثورة يملى على إيران الدعاية لمبادئها بين المسلمين عبر العالم ، خاصة مبادئ الأخوة والمساواة . (٢٩) وقد يكون هذا الاعتدال أيضا مرجعه أن كلام الخمينى بعد الثورة كان يؤخذ كموقف رسمى لإيران ، مما كان سيستعدى عليها الدول الأخرى لو أنه تحدث عن تصدير الثورة بالقوة . وقد استخدم الخمينى الحج كمجال لتنظيم تظاهرات للحجاج فى مكة والمدينة للدعاية لأفكاره حول الثورة والوحدة الإسلامية .

وقد تبنى رفسنجانى التفسير المعتدل لأقوال الخمينى بشأن تصدير الثورة ، عندما ذكر أن تصدير الثورة يعنى أن الحركات الإسلامية الأخرى يجب أن تتخذ من الثورة الإيرانية قدوة ومثالا فى تحركها . (٣٠)

ومن ناحية أخرى طالب الخمينى الدول الإسلامية بقطع العلاقات مع القوى العظمى ، خاصة الولايات المتحدة ، حتى يحققوا استقلالهم . (٣١) وحث الخمينى المسلمين ـ فى خطاب مباشر للشعوب متخطيا الحكومات كعادته فى معظم الأحيان ـ بمحاربة القوى الخارجية التى تحاول السيطرة على الدول الإسلامية ، وبقطع العلاقات الدبلوماسية ـ بل والتجارية ـ مع هذه القوى الخارجية المعتدية التى تريد استغلال موارد المسلمين . وفى هذا الإطار اعتبر أى عدوان ضد أى بلد مسلم من جانب ما أسماه بقوى الاستكبار العالمى (القوى الكبرى) عدوانا ضد كل المسلمين . (٣٢)

وفى حين أدان الخمينى الدول التى تضع يدها فى يد الولايات المتحدة أو إسرائيل ، (٣٣) فإنه شدد على واجب تحرير المقدسات الإسلامية . وقد تم استخدم هذا المطلب فيما بعد لتبرير الحرب مع العراق داخل الأراضى العراقية من جانب بعض القادة الإيرانيين بحجة أن ذلك يهدف إلى تحرير المناطق المقدسة للشيعة فى النجف وكربلاء . وقد طالب شريعتى ـ من جانبه ـ بمشاركة إيران ـ عقب انتصار ثورتها ـ فى كافة معارك الشعوب الإسلامية التى تعانى من الاحتلال الأجنبى (٣٤) .

وفى إطار حث الخمينى المسلمين على التمسك بإحساسهم المعنوى بالكرامة والاستقلال الحضارى ، اعتبر استدانة الدول الإسلامية من العالم الخارجى إذلالا للمسلمين .

خامسا : القضية الفلسطينية.

وصف آية الله الخمينى وجود دولة إسرائيل بأنه جاء نتيجة لتآمر القوى الاستعمارية فى الشرق والغرب ، واعتبر الصراع مع إسرائيل عقائديا وحضاريا وليس مجرد صراع سياسى . وحذر من أن الصهيونية تود القضاء على كل الفلسطينيين وتدمير كل الدول الإسلامية .(٣٥) ومن هنا ربط الخمينى وجود إسرائيل بنزعتها التوسعية التى اعتبرها تهديدا لكل البلدان الإسلامية . كما أنه لم يغفل ربط إسرائيل بالقوى الدولية المعادية للإسلام حين نظر إليها كأداه لتنفيذ ما أسماه « بالمخططات الشيطانية » للاستعمار ضد العالم الإسلامى . ومن جانبه اعتبر الدكتور على شريعتى صراع المسلمين الأساسى مع الصهيونية ، واعتبر مهمتهم الأساسية هى تحرير فلسطين . وقد نظر شريعتى إلى الصهيونية كوجه من وجوه العملية الاستعمارية . (٣٦)

ومن هذا المنطلق طالب الخمينى الدول الإسلامية بفرض حظر بترولى على الدول المؤيدة لإسرائيل . ويعتبر هذا الموقف ترديدا بشكل آخر لحث د. على شريعتى - قبل ذلك بسنوات - الدول الإسلامية على تبنى مواقف مضادة للقوى التى تؤيد إسرائيل - خاصة الدول الغربية والتى اتهمها شريعتى بأنها تقع تحت سيطرة الرأسمالية اليهودية . وقد طالب الخمينى بقطع العلاقات بين إيران (قبل الثورة) وإسرائيل كما طالب بدور مباشر لإيران فى الصراع مع إسرائيل . (٣٧) واتساقا مع منطقه الدينى ، اعتبر الخمينى أن هذا الدور ينبع من التزام تاريخى وعقائدى (إسلامى) . وجاء بعد ذلك بسنوات رفسنجانى ليعتبر القضية الفلسطينية جزءا من شرعية الثورة الإيرانية .

كما حث الخمينى على دعم النضال المسلح للفلسطينيين وطالب المسلمين بإنفاق أموال الزكاة لدعم هذا النضال . وطالب إيران وكل المسلمين بتقديم كل مساعدة للفلسطينيين المقاتلين لتحرير القدس وكل فلسطين . وقد اقترنت هذه الدعوة بحديث الخمينى والقادة الفكريين للثورة الإيرانية عما أسموه « بأسلمة » الصراع العربى / الإسرائيلى ومطالبة القادة الفلسطينيين بإعلان أن ثورتهم إسلامية وبمواصلة الكفاح المسلح دون الالتفات للمبادرات السياسية . وكان أحد الدوافع لذلك أن الخمينى لم يعترف بوجوب استمرار دولة إسرائيل ، وبالتالى كان حديثه عن تحرير فلسطين يعنى - من الوجهة النظرية على الأقل - كل فلسطين وليس مجرد الضفة الغربية وقطاع غزة - واعتبر ذلك مسئولية كافة المسلمين . (٣٨)

خاتمـــــــة :

وهكذا يتضـح أن مواقف القادة الايـديولوجيين للثورة الإيـرانية ـ خاصـة الخمينى ـ كانـت تنبع من اعتبارات دينيـة وعقائدية بشكل أسـاسى ، ومن اعتبارات سيـاسية فى المقام الثـانى . وقـد لجأ الخمينى ــ وعلى شريعتى مـن قبله ــ إلى استخدام الأحـداث الكبرى فى التـاريخ الإسـلامـى المبكـر وتشبيهها بـأحـداث وقـوى معاصرة ، لتعبئـة المسلمين للعمل على بعثها فى عـلاقاتهم بالعالم المعاصر . كما تميز خطـاب هؤلاء القادة بالتوجـه فى أغلب الأحيان لكافـة المسلمين ، وليس للإيرانيين فحسـب ، وذلك يتسق مع المنطلقات العقائدية لهؤلاء الآباء الأيديولوجيين للثورة الإيرانية .

وفى الممارسة العملية ـ كما كشفت هذه الدراسة ــ تدخلت أحيانا اعتبارات المصلحة الوطنية الإيرانية للحـد من اعتبارات الأممية الإسلامية ، خاصة عنـدما أصبح الخمينى مرشدا للثورة بعد نجاحها ، وأصبح ينظر إليه دوليا على أنه القائد السياسى وليس مجرد القائد الروحـى لإيران . وقد جاء ذلك نتيجة تنـاقض تولد بمرور الوقـت بين التزامات عقائديـة ثورية معلنـة فى السياسة الخارجية لإيـران وبين سلوكها الفعلى ، وقـد حدث ذلك لاعتبارات عـديدة ، منها الصراعات داخل صفوف السلطـة الحاكمة ، والحاجة لمواجهة مصاعب اقتصـادية متزايدة ولتجنب عزلتين دولية وإقليميـة ، وكذلك الحاجة لدعم عسكـرى وقت الحرب . ورغم ذلك كله ، استمـرت الأفكار الأيديولـوجية تمثل نوعا من الإطار العام الذى يحد أحيانا من مدى الواقعية والبراجماتية اللتين قد تتمتع بهما القيادات السياسة .

الهـــوامـــش

Adeed Dawisha, " Islam in Foreign Policy " , in Islam In Foreign Policy Cambridge(١) : The Royal Institute of International Affairs and Cambridge University Press, 1985), p.3

انظر أيضا :

Barbara G. Salmore and Stephen A. Salmore, " Political Regimes and Foreign Policy " in Maurice A.East, Stephen A. Stephen A. Salmore and Charles F. Hermann, eds., **Why Nations Act** ? (Berverly Hills and London : Sage Pulications, 1978), pp. 112 - 113.

Rajaee Farhang, **Islamic Values and World** View (Lanham, New York and London : University Press of America) , p. 89 (٢)

(٣) على المشكورى . سياسة لاشرقية ولاغربية ، (طهران : وزارة الإرشاد الإسلامي ، ١٤٠٢ هـ) ، ص٢١ .

(٤) دستور جمهورية إيران الإسلامية . (قم : مؤسسة الشهيد ، ١٩٧٥) ، ص ٥٨ .

(٥) « العالم المستكبر والمفاهيم المغلوطة » . مجلة رسالة الثورة الإسلامية (إيرانية) ، رمضان ١٤٠٣ هـ ص٤٢ .

(٦) Rajaee, op.cit., pp. 75 - 76, 79, 86

(٧) « العالم المستكبر والمفاهيم المغلوطة » ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣ .

W.G. Millard , " The Principles of Foreign Policy and the Vision of the World Expounded by Iman khomeini" , in **The Iranian Revolution and Islmic Republic**, edited by Nikki Repulic, edited by Nikki R. keddie and Eric Hoogland (USA : The Middle East Institute and Woodrow Wilson International Center for Scholars, 1982), pp. 192 - 93, 196. (٨)

انظر ايضا :

Shaoul Badkhash, The Rejgn of the Ayatollahs (London : I.B. Tauris and Co. Ltd , 1985), p. 98.

انظر ايضا :

R.K. Ramazani, " Khomeini's Islam in Iran's Foreign Policy " **In Islam in For eign Policy** , op.cit., p. 16.

(٩) على المشكورى ، مرجع سبق ذكره ص ١٥ .

Rajaee, op.cit., pp. 79 - 81. (١٠)

Ali Shari'ati, Hajj, translated by Ali Behzadia an Najla Denny, 2nd ed. (Houston : Rree Islamic Literature, 1978), p. 133. (١١)

انظر ايضا :

Suroosh Irfani , **Revolutionary Islam in Iran** (London : Zed Press, 1983), p. 134

(١٢) الدستور الإيرانى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠ ، ٢١ ، ٥٩

(١٣) على المشكورى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢ .

(١٤) الدستور الإيرانى ، مرجع سبق ذكره ص ٢٠

(١٥) على شريعتى « الاعتماد على الديـن » فى كتاب : هكذا تحدث على شريعتى ، ترجمة وجمع وتقديـم فاضل رسول . ط ٢ . (بيروت : دار الكلمة ١٩٨٣) ص ٨٠ ـ ٨١ س ٢١٣ .

انظر أيضا :

Ali Shari ' ati, Hajj, op.cit., pp. 122, 138, 139 - 140.

انظر أيضا :

Irfani, op.cit., p. 118

(١٦) Iman Khomeini, **Islam and Revolution**, translated by Hamid Algar (Berkeley : Mizan Press, 1981), pp. 181 - 189.

(١٧) Ramazani, op.cit., p. 10

انظر ايضا :

Dilip Hero, Iran Under the Ayatollahs (London : Routledge and kegan Paul, 1985), p. 133.

(١٨) Islam and Revolution, op.cit., pp., 170, 272

(١٩) Fred Halliday, " Iran's Revolutiob Turns Sour", Marxism Today, December 1983, pp. 34, 36.

(٢٠) Kambiz Afrachteh, " Iran ", in **Politics of Islmic Reassertion**, edited by Mohamed Ayoob (London : Groomhelm Ltd, 1981), p. 109.

انظر أيضا : Bakhash, op.cit., p. 10.

(٢١) Hallidy, op.cit., pp. 32, 35.

انظر أيضا : Bakhash, op.cit., pp. 237 - 23.

(٢٢) Hiro, op.cit., p. 205.

انظر أيضا : Ramazani, op.cit., pp. 14, 28.

(٢٣) Islam and Revolution, op.cit., pp. 265, 286 -287.

انظر أيضا : Rajaee, op.cit., p. 83.

انظر أيضا : Ramazani, op.cit., p. 19.

(٢٤) آية الله الخمينى . الحكومة الإسلامية ترجمة وتقديم د . حسن حنفى (القاهرة ١٩٧٩م) ص ٤٨ ـ ٤٩ .

(٢٥) W.G. Millard, op.cit., p. 192.

(٢٦) Irfani, op.cit., p. 132.

انظر أيضا : Shari'ati, Hajj, op.cit., p. 119.

(٢٧) فاضل رسول ، مرجع سبق ذكره ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(٢٨) الدستور الإيرانى ، مصدر سبق ذكره ص ٢٣ .

(٢٩) " Iran and the World : General Discussion " , in The Iranian Revolution and the Islamic Republic, op. cit., p. 209.

انظر أيضا : Rajaee, op. cit., p. 83.

انظر أيضا : Ramazani, op.cit., p. 19.

(٣٠) جريدة كيهان العربى الإيرانية ، عدد ١١ ذى القعدة ١٤٠٥ هـ ، ص ٣ .

(٣١) على المشكورى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤ .

(٣٢) « أيها الاستكبار : لاخوف ، ولاسمع ، ولاطاعة » ، مجلة الشهيد (الإيرانية) . رمضان ١٤٠٥ هـ ، ص ٧ .

(٣٣) خطاب لآية الله الخمينى : تحرير فلسطين واجب الجميع ، ورد فى مجلة الشهيد (الإيرانية) عدد رمضان ١٤٠٥ هـ

(٣٤) Ervand Abrahamian, " Ali Shari'ati : The Ideologue of the Iranian Revolution", **MERIP Reports**, January 1982, p. 25.

(٣٥) على المشكورى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣

انظر أيضا : Rajaee, op.cit., p. 87.

(٣٦) Abrahamian, op.cit., p. 25.

(٣٧) Bakhash, op.cit., p. 63.

(٣٨) « هلا نخطو نحو التحرير » . مجلة الشهيد (الإيرانية) ، رمضان ١٤٠٥ هـ

انظر أيضا : على المشكورى . مرجع سبق ذكره . ص ١٣ .

الفصل الرابع

إيران وجماعات العنف السياسي في العالم الإسلامي

نرى في كافة الثورات البارزة في التاريخ الإنساني أن كل ثورة احتوت على اتجاهين فيما يخص نشر أفكارها خارج الحدود ، وهما :

١ ـ اتجاه بناء الدولة النموذج Model - State من خلال محاولة الوصول ببناء الدولة إلى مرحلة الكمال من وجهة نظر ايديولوجية الثورة بما يجذب تأييد شعوب أو قوى محيطة تكون مشاركة في خصائص معينة مع شعب الدولة الذى قامت فيه الثورة .

٢ ـ اتجاه تصدير الثورة وهو يناصر فكرة دور خارجي فعال للنظام الثوري في مساندة قوى تتبنى نفس أفكاره . وإحدى حجج هذا الاتجاه هي أن أفضل وسائل الدفاع هي الهجوم ، فعندئذ يعتبر الدور الخارجي الفعال والمتدخل في شئون دول أخرى إجراء وقائيا يخدم كمقدمة لاحتواء أي هجوم على الثورة من القوى الإقليمية والدولية التى تعتبرها هذه الثورة معادية لها . والحالة الإيرانية ليست استثناء من هذه القاعدة ، بل إن كون الثورة الإيرانية رفعت شعارات إسلامية أعطت مبررا إضافيا لأنصار الاتجاه الثاني .

وقد تميزت الثورة الإيرانية منذ انتصارها في فبراير عام ١٩٧٩ بإعطاء صورة داخلية وخارجية تعكس مسارًا داخليًا ودورا خارجيا شبيها بما ميز الحركتين الوهابية في القرن الثامن عشر ، والمهدية في القرن التاسع عشر . وقد اعتبرت إيران تصدير الثورة ومساندة حركات المعارضة الراديكالية ـ خاصة ذات التوجه الإسلامي وبالذات الشيعية منها ـ في الدول المجاورة أسلوبا لهذا الهجوم الوقائي مستغلة البريق الأيديولوجي للثورة في سنواتها الأولى ، كما هدفت من وراء ذلك إلى استخدام العامل الإسلامي الثوري كعامل توحيدي إقليمي في مواجهة العامل القومي العربي . فالوضع الأمثل لريادة إيران ـ إن لم نقل زعامتها ـ على المستوى الإقليمي هو نظام إقليمي إسلامي وليس قوميا عربيا . وبالتالي ، توظف إيران دعمها للحركات الإسلامية خارج حدودها ـ حتى ولو كان معنويا وإعلاميا فقط ـ في علاقاتها مع الأطراف الإقليمية والدولية بما يخدم أهداف ومصالح سياستها الخارجية ، ويلهي الحكومات المعادية لها عن محاولة التدخل في

شئون إيران الداخلية ، واكتفائها بالحد من دور الجماعات الإسلامية لديها ، وبما يحفظ الزخم الثورى فى الداخل الإيرانى .

ومنذ بداية انتصار الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ ، طالب التيار الداعى لتصدير الثورة باعتبار تصدير الثورة إحدى سبل حمايتها فى الداخل ، وبعدم الاكتفاء بالدعاية الخارجية للنموذج الإيرانى بل بتقديم مساعدات ودعم لقوى سياسية خارج إيران ، وخاصة القوى الراديكالية المعادية للنظم القائمة فى العالم الإسلامى لإنشاء حكومات على النمط الإيرانى . كما أن اعتبار الخمينى للولايات المتحدة بأنها العدو الأول لإيران دفع الجمهورية الإسلامية الوليدة هناك منذ البداية لدعم جماعات عنف سياسى بالشرق الأوسط وتوجيهها بشكل خاص ضد المصالح الأمريكية لكسب نقاط فى المواجهة مع الولايات المتحدة ، وتجد ذلك خاصة إبان أزمة الرهائن الأمريكيين فى طهران .

وقد طالب الخمينى منذ البداية بتكرار ثورة إيران فى البلدان الإسلامية الأخرى ، كخطوة أولى نحو التوحد مع إيران فى دولة واحدة يكون مركزها إيران فى المواجهة مع من أسماهم بأعداء الإسلام فى الشرق والغرب . والتزم بتدمير من أسماهم بالأنظمة الفاسدة التى تقمع المسلمين واستبدالها بما اعتبره حكومات إسلامية . كما ربط بين تصدير الثورة وبين مواجهة الإمبريالية وتحرير فلسطين . ورأى للثورة الإيرانية دورا عالميا لمساندة المحرومين عبر العالم . واعتبر صراحة أن الدولة الإسلامية فى إيران ستمثل قائدًا للمستضعفين فى الأرض وأكد ضرورة تصدير الثورة لكل مكان ، لأن الإسلام يدافع عن الشعوب المستضعفة ولايعترف بالحدود بين البلدان الإسلامية . وتعهد الخمينى بتصدير الثورة الإيرانية إلى كافة أرجاء الأرض ، بل وعد ذلك ضمن واجبات الثورة الإيرانية . وأضفى الخمينى على رؤيته قدرا من الواقعية عندما ذكر أن عدم تصدير إيران لثورتها سيضعفها أمام أعدائها . إلا أن الخمينى تحدث أحيانا عن تصدير الثورة الإيرانية من خلال المثال ، وتعهد بعدم مهاجمة الدول الأخرى ، بل بالدعوة والدعاية للثورة فى الخارج عبر استخدام وسائل الإعلام وغيرها ، بينما فى مواضع أخرى حرض الشعوب والتنظيمات السياسية الإسلامية على إسقاط حكوماتها التى اعتبرها ضالعة فى تنفيذ ماأسماه بمؤمرات الاستكبار العالمى . وفى بيان لاحق وجهه للطلاب الإيرانيين بالخارج ، أعرب الخمينى عن الأمل فى انتشار ثورة إيران الإسلامية للعالم أجمع حتى تتشكل حكومة عالمية تحت زعامة الإمام المهدى الثانى عشر.

ومنذ الأيام الأولى لنجاح ثورة إيران فى فبراير عام ١٩٧٩ ، اعتبر آية الله طلقانى - أحد قادة الثورة - أن الثورة الإيرانية قد أيقظت العالم الإسلامى فى مواجهة الاستعمار والإذلال واعتبر كل ثورة تقوم فى أى بقعة من العالم الإسلامى ضد الاستبداد والإمبريالية هى ثورة للمقهورين ، وبما أن الإسلام دعا إلى نصرة المستضعفين فى الأرض فهذا واجب الثورة الإيرانية لأنها الثورة الأم للمستضعفين ليس فقط فى العالم الإسلامى ، وإنما فى العالم أجمع .

وقد اتفقت معظم الأدبيات الثورية الإيرانية منذ عام ١٩٧٩ على تصنيف حكام معظم البلدان الإسلامية - مثلهم مثل دول الغرب - بأنهم يمارسون « الاستكبار » ضد شعوبهم ، وحثت هذه الشعوب على التخلص من حكوماتها التى تخدم - حسب الرؤية الإيرانية - مصالح أعداء الإسلام . وركزت هذه الأدبيات على إبراز النموذج الإيرانى بوصفه النموذج الثورى الإسلامى الوحيد ، وبالتالى فهو ملزم بمساندة الحركات الإسلامية الراديكالية فى بقية أنحاء العالم الإسلامى ، مما يجعل تصدير الثورة واجبا دينيا وليس مجرد هدف سياسى يتمثل فى جعل علاقات إيران الخارجية مع الشعوب وليس مع الدول ، ويتطلب من إيران تقديم مساعدات مالية وعسكرية بالإضافة إلى التدريب العسكرى والتلقين العقائدى لهذه الحركات ، وعدم الاكتفاء بالدعاية الخارجية للثورة . ولم يتوان مجلس الدفاع الأعلى فى إيران فى الدعوة إلى ثورة إسلامية عالمية تشكل جبهة إسلامية متحدة ضد إسرائيل والولايات المتحدة وحلفائها فى المنطقة ، ويكون قوامها الحركات الإسلامية المعارضة خاصة فى العراق والسعودية ودول الخليج الأخرى .

وقد انعكست هذه الآراء فى الدستور الإيرانى . فقد حددت ديباجة الدستور الإيرانى - ضمن أهداف الجمهورية الإسلامية - السعى مع الحركات الإسلامية والجماهيرية الأخرى لبناء الأمة العالمية ، وإنقاذ المحرومين فى كل مكان على الأرض . كما أن الدستور أعطى الحرس الثورى والجيش فى الجمهورية الإسلامية مهمة النضال من أجل توسيع حاكمية قانون الله فى كافة أرجاء العالم . كما أكدت المادة الثالثة من الدستور الدعم المطلق لمستضعفى العالم كهدف من أهداف الجمهورية الإسلامية . وأشارت المادة ١٥٤ إلى التزام إيران العمل على إقامة حكومة الحق والعدل فى أرجاء الأرض ، وحماية الكفاح الشرعى للمستضعفين ضد المستكبرين فى أى مكان فى العالم . بل إن الدستور الإيرانى حدد من مهام الحرس الثورى نشر حاكمية الله فى الأرض ، وبناء مجتمع عالمى موحد يقوم على النضال لتحرير المستضعفين فى الأرض ، كما وضع

ضمن أهداف السياسة الخارجية الإيرانية دعم المستضعفين فى الأرض وجهادهم المشروع . ولكن ـ وليعكس تباين وجهات النظر وتفاوتها داخل القيادة الإيرانية ـ أشار الدستور فى مواقع أخرى إلى عدم تدخل إيران الثورة فى الشئون الداخلية للدول الأخرى .

وقد جسد الحزب الجمهورى الإسلامى ـ الذى سيطر على الحكم فى إيران منذ إقصاء الدكتور أبو الحسن بنى صدر عن رئاسة الجمهورية فى يونيو ١٩٨١ حتى حل الحزب عقب نهاية الحرب مع العراق ـ نظرية تصدير الثورة . بل إن البعض اعتبر الخلاف بين الحزب وبين الدكتور أبو الحسن بنى صدر أول رئيس لجمهورية إيران هو ـ فى أحد أبعاده ـ خلاف بين المفهوم الوطنى للإسلام وحركة الإسلام العالمية . فاعتبر الحزب نفسه ـ فى برنامجه الأساسى ـ حزب المسلمين فى كافة أنحاء العالم وليس فى إيران وحدها ، وذكر برنامجه أن عالمية الثورة الإسلامية ومبدأ تصدير الثورة وجهان لعملة واحدة ، وبالتالى حدد مهمة إيران الثورة فى إنقاذ المسلمين والبشرية بأجمعها . وقد برر الدكتور حسن آيات ـ أحد منظرى الحزب ـ تدخل الثورة الإيرانية فى شئون الدول الإسلامية الأخرى بأن على إيران نصرة المستضعفين فى كل مكان حتى يتم ضمان استمرارية الثورة واتساع دائرة إشعاعها . وخلال مرحلة سيطرة الحزب على الحكم فى إيران تبلور الصراع بين المكتبيين (الملتزمين عقائديا) وبين جماعة الحجتية الأكثر براجماتية وقربا من الغرب ، خاصة حول دعم المكتبيين لتصدير الثورة خارج إيران . كما اعتبر الحزب النظم الملكية مناقضة لمنطق الثورة الإسلامية ، وبالتالى يجب إسقاطها كنظم غير عادلة .

وهناك بعض الآراء التى ترى أنه رغم أن إيران لم تخلق المد الإسلامى ، فإنها تساعد هذه الموجة وتوظفها ـ فى عدة دول ـ لخدمة مصالحها دوليا وإقليميا ، وتدفع الحركات الإسلامية الراديكالية هناك للتضحية مستخدمة مفاهيم « الشهادة » و « لقاء الله » و«نصرة الإسلام » وغيرها من الرموز الدينية . وقد استخدمت إيران المؤتمرات العالمية لأئمة الجمعة وأسابيع الوحدة الإسلامية ، والاحتفالات السنوية بيوم القدس ومؤسستى الشهيد والمستضعفين ، ومنظمة العلماء المجاهدين ، كآليات لتعبئة رجال دين وكتاب ومفكرين وقياديين إسلاميين من كافة أنحاء العالم الإسلامى ، لتلقينهم عقائديا والتأثير عليهم فكريا ، بما يتفق مع أفكار الثورة الإيرانية ومصالح الجمهورية الإسلامية . كما وظفت الثورة الإيرانية اللجنة الدائمة للحج ، ومكتب الدعوة

الإسلامية كمؤسستين حكوميتين لتصدير فكر الثورة الإيرانية وتوسيع تأثيرها الخارجى . وقد جاءت تصريحات لعدة مسئولين إيرانيين لتؤكدأن إيران لن تأمن من مؤامرات الدول الكبرى إلا إذا حدثت ثورات مماثلة فى العالم الإسلامى ووعدت بمساعدة كل حركات التحرير والحركات الإسلامية الراديكالية فى أى مكان فى العالم .

ورغم أن إيران أعلنت فى عدة مناسبات أنها لن تتدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى ، وأن وزارة الخارجية الإيرانية هى الجهة المعنية بممارسة السياسة الخارجية مع الدول الأخرى ، إلا أن هناك منظمات ثورية إسلامية رسمية أو شبه رسمية أو - حتى - غير رسمية فى إيران تزاول اتصالات مع تنظيمات إسلامية معارضة فى بلدان إسلامية أخرى مما سبب فى مراحل عدة توترا فى العلاقات مع هذه الدول .

وعلى مستوى القيادات الإيرانية الأخرى ، فإن رئيس الوزراء الإيرانى السابق مير حسين موسوى كان يعتبر هدف السياسة الخارجية الإيرانية تحرير الإنسانية ، وليس فقط العالم الإسلامى ، إلا أنه عاد ليعلن أن إيران لاتنوى التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى . إلا أن قيادات أخرى مثل وزير الداخلية السابق على أكبر محتشمى ، ورئيس البرلمان السابق مهدى كروبى ، ونائب رئيس البرلمان الإيرانى السابق حجة الإسلام خوئنها ، أشاروا إلى تصدير الثورة خاصة إلى ما أسموه بالدول العميلة للشرق والغرب ، خاصة الولايات المتحدة .

ومنذ البداية ، منذ أن كان رئيسا للبرلمان الإيرانى عقب عام ١٩٨١ ، ركز رفسنجانى على اعتبار الثورة الإسلامية قدوة ومثالا دون الإشارة إلى التدخل الخارجى ، وعبرت الصحافة الموالية له عن هذه المواقف . وقد ذكر رفسنجانى عام ١٩٨٩ عندما كان رئيسا للبرلمان أنه يرفض التضحية بما تحقق على مستوى بناء المؤسسات داخل الجمهورية الإسلامية ، أو إعاقة استكمال تنفيذ أهداف الثورة داخليًا مقابل تصدير الثورة خارجيًا . وجاء التخلص من مير حسين موسوى بإلغاء منصب رئيس الوزراء عقب انتخاب رفسنجانى رئيسا للجمهورية وتعديل الدستور ليعكس إقصاء أحد دعاة تيار تصدير الثورة الإيرانية ، وكان قد سبق هذه الخطوة إقصاء مهدى هاشمى - صهر آية الله منتظرى المرشح السابق لخلافة الخمينى وأحد دعاة تصدير الثورة — مسئول مكتب دعم حركات التحرير فى العالم عام ١٩٨٦ ، بعد أن قام بتسريب أنباء فضيحة إيران جيت ألمح إلى دور رفسنجانى فيها . وجاء إقصاؤه متزامنا مع وقف الدور الخارجى للمكتب ثم تم إعدام هاشمى فى صيف ١٩٨٧ . كما كررت إيران بكثرة منذ

عام ١٩٨٥ إدانة عمليات تخريب وخطف طائرات ، كما ساهمت فى الإفراج عن ركاب طائرات مختطفة . وعقب تولى رفسنجانى رئاسة الجمهورية عام ١٩٨٩ قام بإقصاء على أكبر محتشمى ـ أحد دعاة تصدير الثورة ـ من وزارة الداخلية .

وعقب تـولى رفسنجانى رئاسـة الجمهورية أيضـا ، عبر عن رفض فـرض الثورة على المسلمين خارج إيران ، بينما طالب الحركات الإسلامية خارج إيران باتخاذ الثورة الإيرانية قـدوة ومثالا لها ، وبـالسعـى لإيصال صـوت الثـورة إلى النـاس . وأضاف أن إيـران ستصدر أفكـارها فى إطار القوانين الـدولية . كما تحدث المرشد الجديد للثـورة سيد على خامنئى عن الدعاية لفكـر الثورة الإيرانية فى الخارج بين صفوف المستضعفين . وتزامن ذلك مع هزيمة الراديكاليين فى انتخابات المجلس (البرلمان) فى ابريل عام ١٩٩٢ وفى طليعتهم الراحل أحمد الخمينى ، ومهدى كروبى ، وأرملة الرئيس الإيرانى الراحل محمد على رجـائى ، وحجة الإسـلام خوئنهـا ، وعلى أكبر محتشمـى وآية الله صـادق خلخلى رئيس المحاكم الثورية الإسلامية سابقا ، بالإضافة إلى قرار دمج وزارتى الدفاع والحرس الثورى فى وزارة واحدة للقوات المسلحة فى أغسطس عام ١٩٨٩ مما عنى فى الواقع إنهاء أى دور خارجى مستقل للحـرس الثورى . وسبق ذلك قبول الخمينى استقـالة خليفته المعين آيـة الله المنتظرى فى ٢٨ مـارس ١٩٨٩ ، وكان المنتظـرى يجسـد دور راعى دعـاة تصديـر الثورة ، وكـان يميل إلى دور إيـرانى فعـال ونشيط فى تصـدير الثـورة ، ودعم الحركات الإسلامية الراديكالية فى البلدان الإسلامية الأخرى .

والواقـع أن التحول نحـو البراجماتية داخليًا وخارجيًا قد ارتبـط بانتهـاء الحرب مع العراق والإحسـاس بالاختنـاق الاقتصادى وبـالحاجة لـلانفتاح على العـالم ، خاصـة اجتـذاب استثمارات الغرب وتكنـولـوجيته لإعـادة تعمير إيـران ممـا تطلب اعتـدالا فى السياسة الخارجية .

ورغـم خسارة الـراديكـاليين فى انتخـابات إبـريـل عـام ١٩٩٢ البرلمانية وحصـول المعتدلين على غالبية المقـاعد ، والتنبؤ بأن ذلك سيؤدى إلى خفـوت اتجاهات دعم المد الإسلامـى المتطرف فى المنطقة ، واتهام مـرشد الثورة خامنـئ للغرب بتهييج دول عـربية ضد إيـران ، واتهامها بـدعم الجماعات الـراديكاليـة الإسلامية ، فـإن خامنـئ ذكر فى إحدى خطـب الجمعة أن إيـران هى محور الثـورة والوحـدة الإسلاميـة ، وهى وحـدها الدولـة الإسلاميـة الحقيقية . ودعا عضـو مجلس الأوصيـاء آية الله أمامـى كاشـانى إلى الدعايـة للإسلام لمواجهة أعـدائه ونشر رسالته دون استخدام العنـف . كما أن طهران

تستضيف حتى نهاية عـام ١٩٩٢ مقار ٢٥ تنظيما إسلاميا راديكاليا عبر العالم ، وتدرب كوادر إسلاميـة متهمة بأنها كانت رديكاليـة فى مراكز بإيران ، وتقدم دعماً مـاديا وتموينيا لمنظمات إسلاميـة راديكاليـة ، وترسـل معلمين ومدربين لهم ، وتتبنـى عمليات عنـف ومخابرات تقوم بها هذه المنظمات ، وبأنها ما زالت تدعو وتستقبل قادة وأعضاء جماعات إسلامية راديكاليـة ، أو رجال دين متشددين عبر العالم الإسلامى خـاصة للمشاركة فى مؤتمرات مثل أئمة الجمعة والوحدة الإسلامية . وتمسكت القيادة الإيرانية الجديدة بفتوى الخمينى التى أحلت دم الكـاتب الهندى البريطانى سلمان رشدى ، ورصـدت مكافأة لمن يقتلـه ، رغـم محاولات التخفيف مـن حـدتها أحيـانـا . وتتهم إيـران بـأنها تجرى مشاورات مع ممثلى جماعات إسلامية راديكالية مـن العالم الإسلامى فى عواصم غربية ، وأنها تتبنى عدة جمعيات إسـلامية فى أوروبا والولايات المتحدة ، كما تقـوم بتوزيع مواد دعائية سياسية وعقائدية على تلك الجماعات ، بـالإضافة إلى مساعدات مالية وتدريب عسكرى خاصة للجماعـات الثورية فى العراق ولبنان . وقد دعـا آية الله أردبيلى الرئيس السابـق للمحكمة العليـا فى إحدى خطب الجمعـة إلى تبنى حـربَ عصابـات لمواجهة الولايـات المتحدة ، وتسديد ضربـات لها . واتهم الحكومات العـربية بأنها إما تـابعة أو محتكرة للسلطـة ، ويجب على الشعوب عدم الاعتماد عليهـا لمواجهة الولايـات المتحدة . كما تـواصل إيـران تقديـم منح لطـلاب من دول إسـلامية أخـرى للدراسـة فى معاهـد وحوزات علمية إيرانية ، ويتلقون بجانب التعليم دورات تلقين عقائدية تتصل بمبادئ الثورة الإيـرانية . إلا أن قـدرتها على اجتذاب طـلاب سنيين يواجـه منافسـة قويـة من جامعات العالم السنـى ، خاصة جامعة الأزهر . وفى ربيـع عام ١٩٩٢ ، عقد اجتماع لرجال الدين من ٧٠ دولة عبر العالم فى طهران وفى مخاطبته للمؤتمر ، اعتبر رفسنجانى تصدير الثـورة واجب ايران تجاه المستضعفين فى العالم أجمع . والثابت أن إيـران مازالت تساند عددًا من الجماعات الراديكاليـة الإسلامية من خلال عدة وسائل ، وتحافظ على اتصالات معهـم ، وتعمـل على ممارسة التأثير عليهم . كما أشـارت مصادر إلى أن إيران ساعدت عـددا من النشطين الإسلاميين الفاريـن من دول عربية وإسـلامية اللجوء إلى دول أوروبية ، وتمويل إقامتهم هناك . ومازالت صحيفة سلام ـ لسان حال المتشددين ـ وغيرها تحض على دعـم إيرانى فعال لجماعـات الإسلام السياسى الـراديكالى فى الدول الأخرى ، وتشير نشرات الأخبار فى وسائل الإعلام الإيرانيـة إلى أخبار ماتسميه بالثورات الإسلامية بالخارج .

وقد أفاد تأثير إيران على الجماعات الإسلامية الراديكالية مصالحها من حيث اضطرار دول أخرى للتعامل مع إيران والرهبة من تأثيرها مما جعل علاقاتها بهذه الجماعات عنصر ضغط على حكومات دولها . ولكن هذا لم يحدث فى كل الحالات ، بل أدى فى بعض الحالات إلى توتر علاقاتها مع هذه الحكومات . كما أنه إذا كان تصدير الثورة الإسلامية أحد أهداف السياسة الخارجية الإيرانية ، فإن هناك أهدافًا أخرى مثل حماية أمن إيران ومصالحها الاقتصادية ، وهذا ما يمنح سياسة إيران الخارجية أحيانا أشكالا متناقضة ، أو غير متسقة فيما بينها . كما يبدو تصدير الثورة أحيانا كأداة ـ وليس هدفا ـ للسياسة الخارجية الإيرانية . كذلك فإن توفر الموارد المالية يعتبر هاما وأساسيا لممارسة إيران دورا تدخليا فى شئون الدول الأخرى .

وعلى أرض الواقع ، فإن إيران واجهت فى السنوات الأخيرة صعوبة الموازنة بين الرسالة الايديولوجية ، وبين مصالحها واحتياجاتها الوطنية ، كما أثبتت أن شعاراتها فى السياسة الخارجية أكثر راديكالية من مواقفها العملية وسلوكها ، وإن ارتفع شعار أن تبنى نموذج النظام الإسلامى فى بلد واحد قد يضعف الثورة الإيرانية وتأثيرها على القوى الإسلامية بالخارج . وتبقى المعادلة الصعبة التى يصعب التخلى عن أحد طرفيها : تحسين علاقات الحكم الإيرانى بالدول الإسلامية الأخرى ، واتصالاته بالتيارات الإسلامية الراديكالية المعادية للنظم القائمة بهذه الدول . ومن غير المستبعد فى العلاقات الدولية أن نجد تناقضا يتولد بمرور الوقت بين التزامات عقائدية ثورية معلنة فى السياسة الخارجية لدولة وبين سلوكها الفعلى ، سواء جاء ذلك نتيجة صراع داخل صفوف السلطة الحاكمة ، أو لتجنب مصاعب داخلية ، أو اقتصادية ، أو عزلة دولية وإقليمية . وبالتالى فإن التراجع عن دعم جماعات العنف السياسى فى المنطقة يرتبط بتراجع النخبة الحاكمة فى إيران عن هذه السياسة فى حالة ما إذا تزايدت المعارضة بين صفوف القوى السياسية الفاعلة داخليا والرأى العام الإيرانى ضد هذه السياسات ، وبالصراع بين المعتدلين والراديكاليين ، وبين الاعتبارات العقائدية واعتبارات الاستقرار السياسى . إلا أن وجود الثورة فى إيران على رأس السلطة فى حد ذاته يشكل قوة دفع وتشجيع للتنظيمات الراديكالية الإسلامية بما فيها تلك الداعية إلى العنف ، وقلب أنظمة الحكم فى البلدان الإسلامية الأخرى .

ورغم دعوة الرئيس الأمريكى السابق بوش فى ١٠ مارس عام ١٩٩١ إيران لتلعب دورًا رئيسيًا لضمان أمن الخليج ، ودعوته دول الخليج بعدم اعتبار إيران عدوا لهم ، فإن

الخارجية الأمريكية عادت بعد عـامين ، وتحديدا فى ٦ مارس عام ١٩٩٣ ، لتتهم إيران بأنـه أكبر مؤيد لـلإرهاب فى العالم ، بينما نفت إيـران ضلوعها فى الإرهـاب ، واتهمت الولايـات المتحدة بتـأييد « رأس الإرهـاب فى العالم : إسرائيـل » . واستمرت الـولايات الأمريكيـة ـ سـواء الإدارة أو الكونجرس فى تـوجيه نفس تلـك الاتهامات لإيـران حتى الآن ، وبشكل متصاعد .

ويجدر بنا أن نتعـرض هنا إلى قطـاع معين له الأولـوية فى عقيـدة السياسـة الخارجية الإيرانية ، وهو التنظيمات السيـاسية الشيعية فى العراق ومنطقة الخليج . فمنـذ بدايات الثورة ، عمدت إيـران إلى تحريك التنظيمات الشيعية فى دول الخليج بما يـدعم استقرار الحكم فى طهران وممارسـة الضغوط ـ من خلالها ـ على حكومات تلـك البلدان للتعامل مع الحكم الإيـرانى وإدراجه فى أى ترتيبات لـلأمن والتعاون فى الخليج . وتـؤكد إيران قيادة الصيغة الفكريـة للنموذج الإيرانى والصلة التنظيمية بين المؤسسـة الدينية الشيعية الإيرانيـة وبين رجال الـدين والقـادة الشيعة الـذين يقـودون هذه القـوى ، خاصـة أن بعضهم كان من أصل إيرانى . وأدى تبنى الـدستور الإيرانى للمذهـب الجعفرى الاثنى عشرى كمذهـب رسمى لإيران إلى دعـم هذه الصلات ، وإن أدى إلى نفـور الكثير من تنظيمات المسلمين السنة الراديكاليين من النموذج الثورى الإيرانى . والواقع أن الطبيعة الشيعية للثـورة الإيرانية حـدت كثيرا من تأثيرها على جماعـات سنية راديكاليـة عبرالعالم الإسلامـى . وتجسد ذلك فى إلقـاء أحزاب إسلاميـة سنية باكستـانية تبعة المصـادمات الدمـوية بين السنة والشيعـة فى باكستان عـام ١٩٨٧ على التحريـض الإيرانى للـزعيم الباكستانى الشيعـى عارف الحسينى وحزبه . كما انعكس أيضا فى أنـه خلال تظاهرات الحجـاج الإيرانيين خـلال بعـض مواسـم الحج ، لم ينضم لهم إلا شيعـة بـاكستانيـون وأفغـان . يضاف إلى ذلـك أن اختلاف اللغـة وكون الفـارسية هـى لغة الكتـابة لمعظـم كتابات منظرى الفكـر الثورى الإيرانى أعطيا إحساسـا بالغربة لدى العديـد من قواعد وكوادر التنظيمات الإسـلامية الراديكـالية فى الدول العربيـة ودول أخرى ، بالإضـافة إلى تبنى القيادة الإيرانية شعارات شيعية ـ أصلا بهدف تعبئة الداخل الإيرانى لدعم الثورة ، خاصـة خلال سنوات الحرب مـع العراق ـ ممـا ساهم فى إبعـادها عن الحركـات السنيه الراديكالية ـ خاصة فى دول الخليج والعراق التى يوجد بها أعداد كبيرة من الشيعة .

والواقـع أنه طبقا لأولويـات السياسة الخارجيـة الإيرانية ، فإن دور الشيعـة فى إطار عموم الحركة الإسلامية مماثل لدور الطليعة . وعندما تقدم إيران بالمقابل فكرها لحركات إسلامية سنية راديكاليـة فإنها تقدم مبادئ عامة تدعى الثـورة الإيرانية أنها تمثلها ، مثل

عدم الانحياز الحقيقى، ودعم « المستضعفين فى الأرض » حتى تستطيع كسب قوى اجتماعية ذات تنشئة دينية قد تجذبها هذه المبادئ فى الدول الإسلامية ذات الأغلبية السنية . وتقدم الثورة الإيرانية نفسها لهذه القوى على أنها الثورة النموذج دون تأكيد الصلة التنظيمية بتلك القوى .

وسنتعرض فيما يلى إلى مواقف إيران وعلاقاتها مع التنظيمات الإسلامية الراديكالية فى مختلف أقاليم ودول العالم :

أولا : الخليج والعراق وشبه الجزيرة العربية:

منذ انتصار الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ ، عمدت إيران للتعبئة الإعلامية لشيعة دول الخليج للتمرد على أوضاعهم ، خاصة أن الشيعة شكلوا ٧٥٪ من سكان البحرين ، و٣٠ ـــ ٤٠ ٪ من سكان الكويت ، و ٣٠ ٪ من سكان الإمارات وسكان المنطقة الشرقية بالسعودية . وقدمت إيران تأييدًا معنويًا وإعلاميًا لتظاهرات الشيعة بالسعودية فى إقليم الأحساء عامى ١٩٧٩ و ١٩٨٠ ، واتهم الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودى الإيرانيين بأنهم إرهابيو الخليج . كما تفجر العنف بين الحجاج الإيرانيين والموالين للخمينى من جهة ، ورجال الدين السعوديين وأنصارهم من جهة أخرى ، مما أدى إلى مصرع عشرات الحجاج فى موسم الحج عام ١٩٨٧ . وواصلت إيران دعم منظمة الثورة الإسلامية فى شبه الجزيرة العربية المعارضة للحكم السعودى ، والتى تبنت عمليات تفجير فى مكة فى موسم الحج لعام ١٩٨٩ ، وألقت السعودية تبعيتها بشكل ضمنى على إيران عند وقوعها ، ومارست هجوما إعلاميا على إيران . ورغم أن عملية اقتحام الحرم المكى عام ١٤٠٠ هـ ينظر إليها كتجاوب مع الثورة من جانب الشيعة وقوى سنية ساخطة ضد الحكم السعودى ، فإنه لم تثبت أى صلة تنظيمية لإيران بها ، رغم تأييد الخمينى لحادث اقتحام الكعبة .

وقد استضافت إيران حركات معارضة سعودية ، وعراقية وبحرينية ، ونظمت مؤتمرات سنوية لهم ، ووزعت نشرات عليهم ووجهت أجهزة الإعلام إليهم ، وحضت على التظاهرات لترويج العداء للملكية كمؤسسة ، واستغلت دور رجال الدين الشيعة فى المنطقة بما يمنحها أوراقًا إضافية فى التعامل مع الأطراف الدولية والإقليمية الأخرى .

وقد ابتعدت إيران فى الأعوام الأخيرة عن العمل لاستغلال فرصة الحج لنشر الأفكار

الثورية الإسلامية الإيرانيـة ، والدعوة لها بين بقية المسلمين الحجاج ، أو لإيجاد صلات مع قوى راديكاليـة داخل السعودية . وفى إطار محاولة تحسين علاقـات إيران مع أنظمة الحكم فى دول الخليج أبلغت إيـران عام ١٩٨٤ حركات التحرير لـدول الخليج الأخرى الموجـودة فى إيران بعـدم السماح بأنشطـة موجهـة ضد دول أخـرى سوى على المستـوى الإعلامى فقط . وعمدت عامـى ١٩٨٤ و ١٩٨٥ إلى محاكمة متهمين باختطاف طائرة سعودية ، ورفضت هبوط طائرة كويتية مختطفـة بأراضيها ، رغم طرد الكويت فى مارس عام ١٩٨٣ لرجـل دين شيعى من أراضيها بتهمـة تأييد الثورة الإسـلامية ، واتهام إيران بالمسـؤلية عن تفجيرات عـام ١٩٨٣ ضد منشآت امريكيـة وكويتية ، واتهامهـا بتدبير محاولة اغتيال أمير الكويت فى مايو ١٩٨٥ واعتقال ابن ممثل الخمينى فى الكويت بتهمة دعم المعارضة الداخلية . ورغم نفى إيران اتهامات الكويت هذه إلا أن آية الله المنتظرى اعتبر هذه الأعمال إسلاميـة . كما جاء موقف إيرانـى تجاه الغزو العراقى للكـويت عام ١٩٩٠ ثم فوز الإسلاميين بعدد من المقاعـد فى الانتخابات البرلمانية الأخيرة فى الكويت ليقلل مـن لجوء الإسلاميين هناك للعمـل السرى أو العنف . كما أن نشاط الشيعـة من أصل إيرانـى فى البحرين والكويت استعـدى الجماعات الإسلامية السنية هنـاك أحيانا على إيران .

وقد اتهم رئيس وزراء البحرين إيران بتدريب مئات من شباب الخليج فى معسكرات بإيران للقيام بأعمال تخريبية ، وجاء ذلك عقب محاولة الانقلاب الفاشلة بالبحرين عام ١٩٨١ وتبنـى إيران لأنشطـة الجبهة الإسـلامية البحـرينية . وقـد أدان مجلس التعـاون الخليجى محاولة الانقلاب هـذه فى إطار إدانة التدخل الايرانـى فى شئون دول المجلس . وقد قصرت إيران فى مرحلة لاحقة نشاط الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين على المشاركة فى المؤتمرات الإسلامية التـى تنظمها إيران . كذلك تجددت الاتهامات البحـرينية لإيران فى يونيو ١٩٩٦ بتدريـب وتوجيه الجناح العسكرى لتنظيم لم يعرف فى البحـرية من قبل باسم « حزب اللـه » ، وذلك فى مدينة قم الإيرانية بهدف قلب نظـام الحكم فى البحرين وإقـامة نظـام موالى لإيـران ، وهـو تطور أدى لسحـب البحـرين سفيرهـا من طهـران وإعلانها اعتقال ١٣ بحرينيا ضالعين فى التنظيم السرى .

أما بشأن المعـارضة الشيعية العراقيـة ، فقد استضافت إيـران المجلس الأعلى للثورة الإسلامية فى العراق بقيـادة آية الله محمد باقر حكيم منذعـام ١٩٨٤ ، ومنحتها تدريبًا عسكريـاً على يد الحرس الثورى الإيـرانى ، ووفرت لها ممـرات للتوجه للقيـام بعمليات

داخل العـراق من الأراضـى الإيرانيـة . وأشارت بعـض التقاريـر إلى معسكر تـدريب للمعارضـة العراقية فى منظريـة بشمال طهران . وبعد فترة خبوت خـلال فترة الانتصار العراقى فى الحرب مع إيران عامـى ١٩٨٠ و ١٩٨١ ، فإن النشاط الإيرانى الخارجى فى العراق عـاد بقوة منذ تحول الإيرانيين للهجـوم ودخول الأراضى العراقيـة عام ١٩٨٣ ، والتأكيد الإيرانى على شعار إسقاط الحكم فى العراق وإقامة حكم إسلامى هناك .

وقد ظل الخمينـى يردد فكرة إسقاط حكـم الرئيس صدام حسين حتـى نهاية الحرب العراقية / الإيـرانية ـ بل ومـن قبل اندلاع الحرب عام ١٩٨٠ اعتبر صـدام حسين كافرا يجب معاقبته دينيـا . وتعاملت إيران فى البدايـة مع حزب الدعوة ورجـال الدين ، وفى مقدمتهـم آية الله باقـر صدر حتى إعدامـه هو وشقيقته فى ابـريل عام ١٩٨٠ بـواسطة الحكـم العراقـى ، ثم فى مـرحلة لاحقـة مـن خلال حـزب العمل الإسـلامى وتنظيـم المجاهدين ، حتى تأسيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية ، الذى مثل توحيدًا لفئات العمل السيـاسى الإسـلامى الشيعى الـراديكالى . وقـد اتهم الحكم العـراقى المنظمات الموالية لإيـران بالمسئولية عـن عدة انفجارات منـذ عام ١٩٧٩ ، بدءًا بمحاولـة اغتيال طارق عـزيز وزيـر الخارجية حينذاك وتفجير الجامعـة المستنصرية ، وانتهـاء بحوادث اختراق الحدود بين البلديـن منذ انتهـاء حرب الخليج الثـانية ، وحـدوث انفجارات فى الجنـوب ، وكذلـك تعبئة المسلحين الشيعـة فى منطقـة الأهوار للعمـل ضد الأهـداف الحكومية فى المنطقة خاصة منذ انتفاضة الشيعة فى الجنوب فى مارس عام ١٩٩١ .

وبالإضافة إلى الشيعة ، اتهمت العراق إيران بدعم المعارضة الكردية المسلحة خاصة خـلال سنـوات الحرب العـراقيـة / الإيـرانيـة ، وتحديـدا دعـم الحزب الـديمقـراطـى الكردستانى العراقى للهجوم على شمال العراق الثرى بالنفط ، انطلاقا من مواقع إيرانية فى منطقة حاج عمران . ثم فى مرحلة لاحقة اتهمتها بدعـم الحركة الإسلامية فى كردستان العراق . وفى يناير عام ١٩٨٣ مارست إيران ضغـوطا على حليفتيها حينئذ سوريا وليبيا لإصدار إعـلان ثلاثى يـدعم المعارضـة العراقية . إلا أن قطـاعا من الشيعـة العراقيين حاربوا ضد القوات الإيـرانية عند دخولها الأراضى العراقية دفاعا عـن فكرة الدولة رغم تماثلهم العقـائدى مع الإيرانيين . ورغـم استئناف العلاقات الـدبلوماسيـة بين العراق وإيران فى ١٤ أكتوبـر عام ١٩٩٠ فى أعقاب الغزو العـراقى للكويت ، استمـر نشاط المجلس الأعلى للثورة الإسلامية فى العراق .

أما عن اليمن ، فـإنه رغم قطع العلاقات الـدبلوماسية بين البلدين فى بـداية الثورة

الإيرانية ، واتهام رئيس وزراء اليمن الشمالية لإيران بدعم عناصر انقلابية هناك ، فإن العلاقات بين البلدين شهدت طفرة ، وتشكلت لجنة وزارية مشتركة بينهما . خاصة عقب موقف إيران الداعم لقيادة الرئيس على عبد الله صالح خلال الحرب الأهلية التى دارت مابين مايو ويوليو ١٩٩٤ . كما تدعمت العلاقات الفنية والاقتصادية ــ بل والسياسية ــ مع دول الخليج بما فيها الإمارات المتحدة حتى عكرها استيلاء إيران الكامل على جزيرة أبو موسى أخيرا .

ثانيا : لبنان :

أكدت الحكومة الإيرانية خلال حياة الخمينى استعدادها لمد شيعة لبنان بالسلاح والذخائر، وتبنت كلا من حزب الله وأمل الإسلامية التى شكلت انشقاقا عن أمل عام ١٩٨٢ بزعامة حسين موسوى الذى تلقى تدريبًا عسكريًا فى إيران ، وقيل إن إيران دفعته لإنشاء منظمته الجديدة . وقد تلقت عناصر التنظيمين تدريبًا عسكريًا على يد عناصر الحرس الثورى الإيرانى ، خاصة بعد إرسال ٣٠٠٠ عنصر منهم عام ١٩٨٢ إلى لبنان ، تمركزوا فى بعلبك تحت شعار مقاومة الغزو الإسرائيلى للبنان ، كما تلقت عناصرهما دورات عقائدية من الإيرانيين . وقد تميزت لبنان لفترة طويلة بخصوصيات عدة : غياب الدولة المركزية ، العلاقات التاريخية بين إيران وشيعة لبنان ، التهديد الإسرائيلى المستمر للشيعة ، ثم الوضع الاقتصادى والوضع الاجتماعى المتدنيين للشيعة .

وكان إرسال الحرس الثورى إلى لبنان قد جاء بدعوة من الراحل حجة الإسلام محمد المنتظرى (ابن آية الله حسين المنتظرى) أساسا بغرض دعم التنظيمات الموالية لإيران : أمل الإسلامية فى البقاع ، وحزب الله فى الجنوب اللبنانى والضاحية الجنوبية لبيروت ، مما جسد مشاركة فعلية عسكرية إيرانية لدعم قوى موالية . وقد أضفى هذا الوجود نزعة راديكالية بشكل عام على شيعة لبنان وأضعف أمل المعتدلة نسبيا وهيمنتها على العملين السياسى والعسكرى الشيعيين هناك .

وقد اتهمت أطراف غربية وإسرائيل إيران بكونها وراء تنظيمى الجهاد الإسلامى والعدالة الثورية التى بدأت عمليات اختطاف الرهائن الغربيين منذ عام ١٩٨٢ ، ابتداء بالامريكى دافيد دودج ، وتدمير السفارة الأمريكية ببيروت فى ابريل عام ١٩٨٣ ومقار مشاة البحريتين الأمريكية والفرنسية فى لبنان وهو مانفت إيران مسئوليتها عنه

رغم تأكيـد إدانتها لوجود هـذه القوات فى لبنان . وقد اتهمـت إسرائيل الحرس الثورى الإيرانى الموجود بلبنـان بمهاجمة قيادة قواتها فى صور عام ١٩٨٢ وردت بقصـف مواقع الحرس فى بعلبك فى نوفمبر عام ١٩٨٣ .

كذلك فقد سعت إيـران إلى إنشاء حركة إسلامية راديكالية مـوحدة فى لبنان ، تضم بجانـب حزب الله ، وأمـل الإسلاميـة حركة التـوحيد السنيـة فى طرابلـس ، وذلك فى مواجهـة أمل التـى اعتبرتها القيادة الإيـرانية فى الثمانينـات تنظيما معتدلا . وقـد كثفت وسـائل الإعلام الإيـرانية هجـومها على أمـل فى النصف الثـانى مـن الثمانينات خـلال مصادمات أمل وحزب الله . وساندت إيـران حزب الله صراحة ، وطالبت بدور سورى لوقف حـرب أمل ضد حزب الله . وسبـق ذلك دفع إيران لحزب الله للعـب دور فصل قوات بين أمل ومنظمـة التحرير الفلسطينية خلال عام ١٩٨٣م عقـب اشتباكات بين الطرفين . وطبقا لتقديرات أمريكية ، فقـد قدمت إيران لحزب الله ما قيمته ١٠٠ مليون دولار سنويا كدعم .

وعلى الجانب الآخـر ، فإنه منـذ كان رفسنجـانى رئيسا للبرلمان فقـد أدان اختطاف طائرة TWA فى بيروت ، ودعا للإفراج عن ركابها ، وطالب حزب الله بالعمل بما يتسق مع هذا الموقف . وعقـب اشتباكات أمل وحزب الله فى ديسمبر عام ١٩٨٨ وينـاير عام ١٩٨٩ بالضـاحية الجنوبيـة لبيروت وجنوب لبنان ، سـاهمت إيران ـــ مع سوريـا ـ فى التـوصل لاتفـاق بين الطـرفين فى ٣٠ ينايـر ١٩٨٩ تضمـن حـق حزب الله فى العـودة للجنوب اللبنـانى ، واستئناف نشاطيـه الاجتماعى والسياسـى فى كافة مناطـق الشيعة بلبنان . ودعت إيران حزب الله فيما بعـد إلى عدم الرد على القصف السورى على بيروت الغربية حتى تحافـظ على العلاقات السورية الإيرانية ، . وقد اضطـرت إيران فى مرحلة لاحقة ـ وبناء على ضغوط سورية ـ إلى سحـب معظم الحرس الثورى الإيرانى من لبنان وبقى فقـط حولى ٥٠٠ عنصر منهم . ثـم ساندت لاحقـا جهودا سوريـة للتنسيق بين التنظيمين خاصة عقب اتفاق المصالحة اللبنانية فى الطائف فى مطلع التسعينات .

كذلك ذكرت تقـارير أن إيران مارست ضغوطًا على حـزب الله لضبط النفس عقب اختطاف إسرائيـل فى ٢٩ يوليو عـام ١٩٨٩ للشيخ عبد الكريـم عبيد ، أحد قيـاديى حزب الله فى الجنـوب اللبنانـى ، وعدم الإصرار عـل استبدالـه برهـائن غربيين خـلال صفقات لاحقة بين إيـران والدول الغربية ، وكـذلك نفس الشىء بعـد اغتيال إسرائيل للشيخ عباس الموسوى زعيم حزب الله فى هجـوم بالهليكوبتر فى فبراير عام ١٩٩٢ وإن

اعتبر البعض تدمير السفارة الإسرائيلية فى بوينس أيريس فى ١٧ مارس عام ١٩٩٢ ردا على هذا الاغتيال ، رغم أن الجهاد الإسلامى هو الذى أعلن مسئوليته عن هذا التفجير. كما ساهمت إيران فى إقناع حزب الله بالانضمام للهجوم الشامل - بالتعاون مع سوريا ــ ضد العماد ميشيل عون فى بيروت الشرقية فى ١٤ أغسطس عام ١٩٨٩ . وعمدت القيادة الإيرانية الجديدة أيضا إلى السعى لاجتذاب قوى لبنانية شيعية وغير شيعية أخرى ، كما تجسد فى زيارة نبيه برى زعيم حركة أمل ، ووليد جنبلاط زعيم الحزب الاشتراكى التقدمى وزعيم الدروز عدة مرات إلى طهران منذ عام ١٩٨٩ .

إلا أن التنسيق استمر مع حزب الله الذى يزور قادته طهران فى مناسبات كثيرة . وفى أكتوبر من عام ١٩٨٩ زار وزير الداخلية الإيرانى السابق على أكبر محتشمى ، المعروف بتشدده ، لبنان والتقى مع قيادات حزب الله وأعلن فى ٤ نوفمبر عام ١٩٨٩ ــ فى الذكرى العاشرة لاحتجاز الرهائن الأمريكيين فى طهران - استعداد حزب الله ضرب المصالح الأمريكية فى المنطقة ، وتزامن ذلك مع انتقاد الرئيس رفسنجانى لاتفاق الطائف فى ٢٨ أكتوبر عام ١٩٨٩ . إلا أن الموقف الإيرانى الرسمى تغير بعد زيارة وزير الخارجية ولاياتى لدمشق وتشاوره مع المسئولين السوريين حول اتفاق الطائف ، وكذلك لقاءاته مع زعماء أمل ، وحزب الله ، ونائب رئيس المجلس الشيعى الأعلى الشيخ محمد مهدى شمس الدين .

ومنذ عام ١٩٨٦ كانت إيران قد بدأت تمارس ضغوطا على التنظيمات المسلحة الموالية لها فى لبنان ، للإفراج عن الرهائن الغربيين مقابل تحقيق مصالح وأهداف «للثورة الأم » فى إيران ؛ مثل الحصول على استثمارات فرنسية فى قطاع البتروكيماويات الإيرانى ، أو طرد فرنسا لقيادات منظمة مجاهدى خلق المعارضة من أراضيها منذ يونيو عام ١٩٨٦ ، وتسوية ديون قديمة مع فرنسا ، أو الحصول على أسلحة أمريكية ، أو إفراج الرئيس الأمريكى عن ٥٧٠ مليون دولار ودائع إيرانية مجمدة فى ٧ نوفمبر عام ١٩٨٩ . بل إن إيران أدانت فى نوفمبر عام ١٩٩١ احتجاز الرهائن ، باعتباره عملا غير إنسانى ، وذكرت بمطالبتها الإفراج عن ٤ إيرانيين اختطفوا عام ١٩٨٢ . كما حرصت منذ ذلك الوقت على تكرار أدانتها للإرهاب واعتبار نفسها ضحية لعمليات إرهابية .

ورغم أن فترة رئاسة رفسنجانى لإيران شهدت تقليص المساعدات العسكرية والمالية لحزب الله ، والتنظيمات الأخرى الموالية لإيران فى لبنان ، وممارسة مزيد من الضغوط على تلك القوى للبعد عن العمليات ذات الطابع الإرهابى ، والانصياع العام لأهداف

الاستراتيجية الإيرانية ومصالحها ، وموافقة وزير خارجية إيران ــ خلال زيارته لبيروت عام ١٩٩١ ـ على بسط سيادة الدولة اللبنانية على كامل أراضيها ، وتأكيد ذلك عقب زيارته لسوريا ولبنان فى يونيو عام ١٩٩٢ ، فإن عديدا من الانتقادات وجهت إلى القيادة الإيرانية من قوى داخلية معارضة لممارستها ضغوطا على التنظيمات الموالية لها بلبنان ، خدمة لمصالح غربية مثل إطلاق سراح الرهائن .

وقد كرست انتخابات لبنان البرلمانية فى أغسطس ، وسبتمبر عام ١٩٩٢ تقدمًا ملحوظًا لتنظيمات راديكالية مثل حزب الله ، والجماعة الإسلامية ، مما قد يغريها بالابتعاد عن ممارسة أعمال العنف .

ثالثا : فلسطين :

ركزت إيران منذ انتصار الثورة على اعتبارها قضية فلسطين ـ خاصة القدس ـ قضية إسلامية ذات أولوية للسياسة الخارجية الإيرانية . وعقب فترة قصيرة بعد انتصار الثورة من العلاقات الحميمة بين إيران ومنظمة التحرير الفلسطينية ساد الفتور العلاقات بين الطرفين لعدة أسباب منها ، ما ذكر عن تدريب منظمات فلسطينية لعناصر منظمتى مجاهدى خلق ، وفدائى خلق المعارضتين ، وموقف المنظمة المساند للعراق فى حربه مع إيران ، بالإضافة لإصرار بعض القيادات الإيرانية على مطالبة القيادة الفلسطينية بإعلان إسلامية الثورة الفلسطينية . وعمدت إيران فى الوقت نفسه إلى العمل على نشر مفاهيمها عن الثورة الإسلامية بين صفوف التنظيمات الفلسطينية فى غزة والضفة الغربية (حماس ـ الجهاد الإسلامى) وتبلور ذلك خاصة عند اعتقال السلطات الإسرائيلية أفراد تنظيم يسمى الجهاد عام ١٩٨١ ، ثم اعتقال ٣٠ فردا من أعضاء الجهاد الإسلامى فى الضفة الغربية لاحقا . كما سعت إيران لفتح اتصالات مع قيادات طلابية فى غزة وعناصر سابقة من حركة فتح . وقد ارتبطت هجمات على دور سينما ومحلات بيع خمور فى الأراضى المحتلة بشعارات الخمينى وصوره . وقد اتهمت إسرائيل إيران بالعمل لبناء روابط بين التنظيمات الموالية لها فى لبنان ، والأراضى الفلسطينية المحتلة ، بخاصة حزب الله والجهاد الإسلامى وأحيانا حماس . واستخدمت إيران الاحتفال بيوم القدس ومطالبتها بالجهاد الدينى من أجل فلسطين ، ودعم الكفاح المسلح بهدف إزالة إسرائيل من الوجود لدعم مصداقيتها الراديكالية بين الشعب الفلسطينى فى الداخل . كما استقبلت فى عدة مناسبات أحمد جبريل زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ

القيادة العامة ـ و «أبو » موسى زعيم المنشقين على فتح ، رغم كونهما يمثلان تنظيمين يساريين غير إسلاميين . ويفسر ذلك استضافة إيران فى أكتوبر عام ١٩٩١ لمؤتمر نصرة الثورة الإسلامية فى فلسطين والانتفاضة الشعبية هناك ، وهو ماعمل على تجميع منظمات راديكالية ـ إسلامية أو غيرها ـ فى المنطقة معادية لعملية السلام ، التى بدأت بمؤتمر مدريد وانتقاد المؤتمر صراحة . وقد عاد آية الله خامنئى أخيرا ليدين مفاوضات السلام ، ويعتبرها «معيبة » وينكر حق أى طرف فى التفريط بحقوق الشعب الفلسطينى . إلا أن إيران عادت لإبقاء خيط مع منظمة التحرير، والتقى وزير خارجيتها بسفير فلسطين فى طهران مؤكدا له دعم إيران للانتفاضة فى الأراضى المحتلة .

وقد تصاعدت الإدانات الغربية ـ خاصة الأمريكية ـ والإسرائيلية لإيران واتهامها بدعم الإرهاب بعد العمليات الانتحارية المكثفة التى قامت بها حركتا حماس والجهاد الإسلامى فى داخل إسرائيل فى فبراير ومارس ١٩٩٦ وهو ما نفته إيران وإن رحبت بهذه العمليات باعتبارها مقاومة للاحتلال .

رابعـا : الأردن وسوريا :

عقب توتر العلاقات بين الأردن وإيران إبان دعم الأردن للعراق فى حربه مع إيران ، أعلنت الأردن فى نوفمبر عام ١٩٩١ عن ضبط تنظيم إسلامى سرى مسلح باسم جيش محمد ، وأشارت إلى أصابع إيرانية وراءه ، إلا أن نائب الرئيس الإيرانى سرعان ما قام بزيارة لعمان مسلما رسالة للملك حسين من الرئيس رفسنجانى ، مؤكدا رغبة إيران فى تعزيز العلاقات بين البلدين ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للأردن . . إلا أن عام ١٩٩٢ جاء بإعلان الأردن اكتشاف مؤامرة لقلب نظام الحكم ضلع فيها نائبان بالبرلمان وتنظيم إسلامى مسلح . وأشارت السلطات الأردنية من جديد إلى أدلة عن تمويل وتسليح إيرانيين لهذا التنظيم . كما اتهمت تنظيمات إسلامية فلسطينية بالضلوع فى هذا المخطط .

أما بشأن سوريا ، فإنه بالموازنة بين التحالف مع سوريا ـ خاصة بعد اندلاع الحرب مع العراق فى سبتمبر عام ١٩٨٠ ـ وبين دعم التنظيمات الإسلامية الراديكالية المناهضة للحكم السورى ، تغلبت اعتبارات المصلحة السياسية ، والحسابات الواقعية ، واختارت إيران سوريا الدولة مما أساء ـ بالطبع ـ لصورتها لدى معظم هذه التنظيمات ولم

تتوان إيران عـن اتهام الإخوان المسلمين فى سوريا ، بأنهم عملاء للعـراق وللصهيونية . وإن كانت عناصر من الحرس الثورى الإيرانـى قد اعتبرت مسئولة عن اختطاف السفير السورى فى طهران لعدة سـاعات عام ١٩٨٦ قبل الإفراج عنه ، فـإن التنسيق الإيرانى السورى حول الكثير من القضـايا مثل لبنان والعراق وغيرهما ، أثبت متـانته رغم مروره بعدة هزات ، بما فيها مشاركة سوريا فى عملية التسوية للصراع مع إسرائيل الجارية منذ عام ١٩٩١ .

خامسا : مصر :

منذ انتصار الثورة فى إيران ، اعتبر قادة إيرانيـون الحركة الإسلامية فى مصر ـ وخاصة جناحها الراديكالى ـ ابنا شرعيا للثورة الإسلامية فى إيران ، وأدانت إيران فى الثمانينات ـ وفى عدة مناسبات ـ ما أسمته تعقب الحكـومة المصرية لعناصر الجماعات الإسلامية فى مصر، وما ذكـرته من اضطهـادها لهم . وتحدث رفسنجانـى نفسه ــ عندما كـان رئيسًا للبرلمان عام ١٩٨٥ ـ عن أوجه الشبه بين الحركـات الإسلامية بمصر وبدايات الثورة فى إيران . كما انتقد آخرون منع مسيرات الإسلاميين ، وحرضوا علماء الدين والشباب ضد الحكـومة فى مصر . كما فتحـت إيـران صحافتهـا فى عـدة مناسبـات أمـام كتاب مـن المعارضة الإسلاميـة ـ بمن فى ذلك بعض من يدعـون إلى استخدام العنف ـ فى مصر . كما عمدت إيران إلى نفى اتهام البعـض للجماعة الإسلامية فى مصر بالارتباط بـالولايات المتحدة ، بينما هاجمت وسـائل إعلام إيرانية ـ فى بعـض الحالات ـ الإخوان المسلمين فى مصر بصفتهم تـابعين للسعودية ومخالفين لفكـر حسن البنـا . رغم سبق قيـام الإخوان بمحاولة وساطـة بين إيران والولايات المتحدة ابان أزمة الـرهائن الأمريكيين فى طهران . ودعت بعـض هذه الـوسائل الإعلاميـة فى بعض المناسبـات إلى استخدام العنـف ضد الحكومة فى مصر .

وبالإضافة إلى إعلان الخمينى ابتهاجه عقب اغتيال الرئيس السادات عام ١٩٨١ ، فقد أشارت سلطات الأمـن المصرية إلى وجود كتب للخمينى بين ما وجد مـع من قاموا باغتيال الرئيس الراحل . كما أشارت تقـارير إلى اتصالات بين تنظيم الجهاد الذى تبنى عملية الاغتيال وبين إيران ـ من خلال عناصر فلسطينية إسلامية من قطاع غزة .

وقد أطلقت السلطات الإيرانية أسماء سيد قطـب وخالد الاسلامبولى والشيخ كشك على شوارع بطهران ، كما قامت بترجمة وتوزيع كتب حسن البنا وسيد قطب .

ولاشك أن الثورة الإيرانية أثرت على الأفكار والتكتيك السياسى لعدد من الحركات الإسلامية السرية التى تبنت أعمال عنف فى مصر . ويأتى فى هذا السياق ما أعلن فى أغسطس عام ١٩٨٣ عن اكتشاف مؤامرة دبرها حزب التحرير الإسلامى ، والذى أجرى اتصالات مع إيران . كما أعلن مرتين منذ أغسطس عام ١٩٨٩ عن اكتشاف وضبط تنظيم شيعى يعمل لصالح إيران وعلى اتصال بعناصر أخرى فى الهند وقبرص والعراق وسوريا .

وقد عمدت إيران إلى محاولة إعطاء ثقل لقيادات سياسية إسلامية فى مصر عقب نهاية حربها مع العراق عندما اشترطت وساطة هذه القيادات قبل الإفراج عن الأسرى المصريين الموجودين لديها .

ورغم تقديم مصر مساعدات ومواد غذائية لإيران فى يونيو عام ١٩٩٠ عقب حدوث زلزال فى إيران ، وتأييد رئيس لجنة العلاقات الخارجية فى البرلمان الإيرانى سعيد رجائى خراسانى فى نوفمبر عام ١٩٩١ لعودة العلاقات مع مصر ، خاصة أنه ذكر أن لإيران علاقات مع بقية الأطراف العربية التى حضرت مؤتمر السلام فى مدريد ، فإن آية الله صادق خلخلى وصحفا إيرانية هاجما هذا التوجه ، وساءت العلاقات عام ١٩٩٢ عندما وصفت صحيفة الجمهورية الإسلامية الإيرانية مصر بأنها « شيطان صغير» واتهام مصر لإيران فى أغسطس عام ١٩٩٢ بالاشتراك فى تدريب عناصر تنظيم الجهاد فى معسكرات تابعة للجبهة الإسلامية القومية بالسودان . وقامت مصر بسحب رئيس قسم رعاية المصالح المصرية فى طهران فى ٣٠ نوفمبر عام ١٩٩٢ عقب اتهام وزير الداخلية المصرى السابق لإيران بتمويل وتدريب عناصر إسلامية متطرفة . وأعقب ذلك مطالبة وزير الخارجية المصرى لإيران بعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى . وفى ١٨ مارس عام ١٩٩٣ اتهمت مصر سودانيين حاولوا التسلل عبر منفذ السلوم بتلقى تدريب عسكرى فى إيران للمشاركة فى تنفيذ عمليات إرهابية داخل مصر. كما جاءت زيارة الرئيس مبارك للولايات المتحدة ودول أوروبية فى مارس / أبريل ١٩٩٣ لتعكس اتهاما متزايدا لإيران بدعم الإرهاب فى مصر والمنطقة والتدخل فى شئون الدول الأخرى مع الإشارة إلى أن مصر تستطيع الرد على هذا الدور الإيرانى ، ويمكنها اللعب فى الشئون الداخلية الإيرانية .

إلا أنه عقب محاولة الاعتداء الفاشلة على الرئيس حسنى مبارك فى أديس ابابا فى يونيو ١٩٩٥ ، سارع رئيس الوزراء الإسرائيلى حينذاك اسحق رابين لاتهام جماعات

متصلة بإيـران بالمسئولية عـن المحاولة ، ودعمت أجهـزة سياسية ووسائل إعـلام غربية أقوال رابين . ولكن الثابت أن أيّا من المسئـولين المصريين لم يوجه اتهاما مباشرا لإيران فى هذا الشأن رغـم انتقاد مسئولين مصريين لاعلان بعـض الصحف الإيرانية عـن دعمها لتلك المحاولـة . وقد حرص الموقف الـرسمى المصرى على عدم السماح باستـدراجه من قبل أطراف ثالثـة لاستعداء مصر من إيران خاصة فى ظل غياب دليـل قاطع على تورط إيران فى محاولـة الاعتداء . وعلى الجانب الإيرانـى ، كان هناك حرص على نفـى اتهامات رابين أو أى عـلاقة لإيـران بالمحـاولة وامتنعـت مصادر رسميـة إيرانيـة عن أى اشـادة بالمحـاولة أو نقد لها ، فى إطـار مسعى إيرانـى لتطبيع العـلاقات مع مصر. وجـاء دعم بعض الصحف الإيـرانية لمحاولة الاعتـدال فى اطار توازن القوى والخلافـات السياسية داخل النخبة الحاكمة فى إيران .

سادسا : السـودان :

بالإضـافة إلى ما سبـق ذكره من اتصـالات وتعاون وثيـق بين الثورة الإيرانيـة والجبهة الإسلامية القوميـة فى السودان ، وتقارير أشارت إلى تعاونهما فى تـدريب وتلقين عناصر تابعـة لتنظيمات إسلامية راديكاليـة فى بلدان إسلاميـة أخرى ، فمن المؤكد أن الـوجود الإيرانـى فى السودان قـد تزايـد منذ تـولى الرئيـس البشير مقاليـد السلطة هنـاك ، وقد شهدت زيارة الرئيس رفسنجانى للخرطوم عام ١٩٩١ توسيعا لهذا التعاون الذى شمل مجالات دفـاعية وأمنيـة ، وإنشـاء مكتـب لوزارة جهـاد البنـاء الإيـرانى فى الخرطـوم ، بالإضافة إلى فتح قنصلية إيرانية فى بور سودان على البحر الأحمر . وقد أشار مراقبون إلى أن تزايد الـوجود الإيرانى فى السودان كـان له تأثير مباشر على دعـم الحركـات الإسلامية المسلحة فى الصومال ، خاصة حركة الجهـاد الإسلامى هناك ، وفى بلدان أفريقية أخرى بها جاليات مسلمة كبيرة الحجم باعتبار السودان نافذة إيران على أفريقيا المسلمة .

سابعا : المغرب العربى :

فيما يتعلق بتونـس ، اتهمت الحكومة هنـاك إيران عدة مرات فى النصـف الأول من الثمانينات بـدعم منظمات « خمينية » فى تونـس . وفى مرحلة لاحقة أشـارت السلطات التونسية إلى أدلة تشير إلى تعاون واتصالات بين حركة الاتجاه الإسلامى ـ النهضة فيما بعد ـ بزعامة الاستاذ راشد الغنوشى وبين إيران مما شكل أحد دوافع حظر نشاط الحركة عام ١٩٨٧ ومنع السماح بإعطاء رخصة رسمية لعودة النهضة بعـد حركة السابع من نوفمبر

عام ١٩٨٧ . ولاشك أن النموذج الإيرانى أثبت لجماعـات إسلامية عديدة فى تونس أنها يمكن أن تستخدم العنـف فى مواجهة الحكومـة وتنجح فى إسقاطها . إلا أن العـلاقات الدبلوماسية عادت بين إيران وتونس فى سبتمبر عام ١٩٩٠ بعد قبول الحكومة التونسية وساطـات لتحسين هذه العـلاقات . كما شهـدت المرحلة الأخيرة تبـادل زيارات لكبـار مسئولى وزارتى الخارجية فى الدولتين ، إلا أن بعض المصادر أشارت إلى اتصالات تجريها إيران مع رجـال أعمال شيعة فى الخليج لاجراء استثمارات فى تونـس والمغرب بهدف دعم الحركات الإسلامية الراديكالية فى المغرب العربى ودول افريقيا الإسلامية .

وقد تـدهورت العلاقـات الإيرانية الجزائرية نتيجـة اتهام الجزائر لإيران بدعـم الجبهة الإسلاميـة للإنقـاذ . وقد فشلت محاولات تطبيـع العلاقـات بين البلديـن عام ١٩٩١ وانتهى الامر بقطع الجزائر علاقاتها مع إيران عام ١٩٩٣ بناء على أدلة أشارت إلى تدخل إيران فى شئـون الجزائر الداخليـة ودعمها لجماعـات إسلاميـة تمارس العنف السيـاسى عقـب فرض حـالة الطـوارىء وإدانـة الصحافـة الإيـرانية لما أسمتـه إجهاض انتصـار الإسلاميين فى الانتخابات البرلمانية بالجزائر . وكان قـد سبق ذلك إعلان وزير خارجية الجزائر فى يناير عام ١٩٩٢ أن بيـانات وتوجيهات إيران تعتبر غير مقبولـة بشأن الموقف فى الجزائر وسحبت سفيرهـا من طهـران فى نوفمبر عـام ١٩٩٢ وطالبـت سفير إيران فى الجزائر بالعـودة إلى بلاده ردا على مهاجمة إيران للحكـم فى الجزائر ومؤسساته الـرسمية . وقد واصلت الجزائر اتهام إيـران بتدوير مساعدات مـالية ضخمة للحركـات الإسلامية الراديكـالية فى الجزائر وتونـس والسودان ــ خاصة عقـب استقالة الـرئيس الشـاذلى بن جديد . كما شنت الصحافة الجزائرية منذ عام ١٩٩٢ حملة مكثفة ضد ما اسمته بمؤامرة النخبة الثيوقراطية فى طهـران ، واتهمتها بالعمل لزعزعة الاستقرار والاستيـلاء ـ بواسطة عناصر مـوالية لطهران ــ على السلطة فى الجزائر ثـم تكرار نفس الأسلـوب فى بقية دول المغرب العربى ، واعتبرت الهدف الرئيسى للخطة الإيرانية دعم النفوذ الشيعى ليس فقط فى المغـرب العربـى بل فى مجمـل الـوطنين العربـى والاسـلامى . كما اتهمـت الصحافـة الجزائرية قيادات شيعية إيرانية دينية بتـدبير اجتماعات فى بعض مساجد المشرق العربى تجمع عناصر إسلامية متطرفة فى لبنان والسعودية والبحرين والسودان والعراق وسوريا .

ورغم اتهام إيران للجبهة الإسلامية للإنقاذ فى مرحلة سابقة بتأييد الأفكار الوهابية ، إلا أنها ليست بعيدة عن الحركـة الإسلامية بالجزائر وتقديم الـدعم والنصيحة إلى بعض فصائلهـا . كما اعتبرت إيران نجاح إقـامة جمهورية إسـلامية فى الجزائر نموذجـا سيتبع

بواسـطة بقيـة دول المغرب العـربى، بـل ودول جنوب الصحــراء مثل مـالى والسنغال والنيـجر . كما اعتبرت بعـض المراجع الديــنية الإيرانيـة هزيـمة الحركـة الإسلاميـة فى الجزائر هزيمة لإيـران وقد أدنت إيران الانتخـابات الرئاسية فى الجزائر عـام ١٩٩٥ وما تمخضت عنه من انتخاب الرئيـس الأمين زروال بحجة أنها استبعدت الحركة الإسلامية من المشـاركة فيها. وبـالمقابل، دعـت إيران التنظيمات الإسـلامية فى البلدان العـربية للتركيز على كـون المشروع الإسلامـى وحده هـو القادر على حـل مشكلات المجتمـع . ورغم قطـع العلاقات بين مـوريتانيا وإيـران بناء على اتهام إيـران بالتدخـل فى الشئون الداخليـة لموريتانيا ، فإن العـلاقات عادت فى ٢٩ سبتمبر ١٩٩٠ بناء على وسـاطات عدة .

ثامنـا : الدول الإسلامية غير العربية :

بالإضافة إلى ماذكر فى الجزء الأول من هـذه الدراسة، ثم الجزء الخاص بالاتصالات مع الحركات الشيعية ، فـإننا نشير هنا إلى تقديم إيران مساعدات مـادية ومعنوية ودعما عسكريا وتـدريبا لبعض جماعات المجاهديـن الأفغان ضد الوجود السوفيـاتى هناك ، كما قدمت الدعم الإعلامى والدعائى لهذه الجماعات ، خاصة حزب الوحدة الإسلامية الشيعـى ، والميليشيــات الأوزبكيـة والإسماعيليـة فى بعــض الأحيـان ، وحكــومـة الجمعيةالإسلامية بزعامة برهان الـدين ربانى فى أحيان أخرى. كما أن إيران تقاربت فى مرحلة مع قلـب الدين حكمتيار زعيم الحزب الإسلامى، ورحبـت بإعلان حكمتيار فى فبراير عـام ١٩٨٨ بالانتقـال للعمل من إيـران . ودعمت إيـران التنظيمات الشيعية فى أفغانستـان خلال القتال مـع تنظيمات أخرى فى عدة منـاسبات منذ عـام ١٩٩٢ . ثم سـاهمت مع بـاكستان والسعـودية فى الإشراف على تـوقيع اتفـاق لاقتسام السلطـة فى أفغانستـان والذى وقع عام ١٩٩٢ فى إسـلام أباد ، وإن لم يخرج حيز التنفيـذ ابدا. كما حاولـت إيران منذ نهاية عـام ١٩٩٤ فتح قناة اتصـال مع حركـة طالبان رغم مسئـولية الأخيرة عن مصرع زعيم حزب الوحدة الشيعى.

وفى تركيا ، اتهمـت الحكومة هناك إيـران عدة مرات بتمويـل تنظيمات سرية تعمل على الإطاحة بالحكم هناك ، وإنشاء دولة إسلامية مثلما حدث فى مارس عام ١٩٨٣ . كما اتهمت تركيا إيران بدعم أعمال المقاومة هناك ضد قرار حظر الحجاب فى الجامعات وأماكن العمل . ورغـم إحياء منظمة التعاون الاقتصادى بين باكستـان وتركيا وإيران

والتقارب الإيرانى / التركى ، فإن السلطات التركية اتهمت إيران بكونها تقف خلف عمليات الاغتيال التى طالت خلال الشهور الأخير عددًا من الكتاب والصحفيين العلمانيين واليساريين الأتراك ، بالإضافة إلى شكوك تركية بشأن دعم إيران لحزب العمال الكردستانى اليسارى والانفصالى والذى يقوم بعمليات مسلحة داخل تركيا ، خاصة فى جنوبها الشرقى .

ومنذ وجود الاتحاد السوفياتى ، حرصت إيران على توجيه إرسال إذاعى لمسلمى الاتحاد السوفياتى ، ثم تبع ذلك عقب سقوط وتفكك الاتحاد السوفياتى - إقامة معسكرات للاجئين الطاجيكيين ، ونظمت تيارًا مواليًا لها دعمته فى مواجهة سلطة الرئيس إسلام كريموف الذى اتهمته بمواصلة الخط الشيوعى . وقد اتهمت حكومة طاجكستان إيران بالوقوف خلف محاولة الانقلاب الفاشلة التى قام بها الإسلاميون هناك . إلا أن إيران شاركت بعد ذلك فى جهود الأمم المتحدة للوساطة بين الحكومة والمعارضة هناك. وفى أذربيجان ، حرصت إيران على حشد المعارضة ضد الجبهة الشعبية الحاكمة هناك — والمدعومة من تركيا — منذ عام ١٩٩٢ مع إحساس إيران بضعف مركزها هناك نتيجة عدم تعاطف رجال الدين التقليديين مع النموذج الثورى الإيرانى . وإن أكدت فى مرحلة لاحقة معارضتها للاعتداء الأرمينى على سلامة أراضى أذربيجان .

وبينما شهدت الثمانينات اتهام السنغال ، وكوت ديفوار ، وكينيا ، لإيران بالتدخل فى الشئون الداخلية لهذه الدول ، وقطعها علاقاتها مع إيران ، فإن بعض التحسن طرأ على هذه العلاقات ، وأعيدت العلاقات بين إيران والسنغال فى فبراير عام ١٩٨٩ . ورغم اتهام بعض الدول الإسلامية لإيران بتقديم النفط سرا إلى الصرب ، فإن توقيف طائرة إيرانية فى ١١ سبتمبر عام ١٩٩٢ فى مطار زغرب ، واكتشاف أسلحة بها مهربة إلى مسلمى البوسنة والهرسك أثار علامات استفهام حول دعم إيران لقوى أو فصائل ما فى معادلة الصراع المسلح فى البوسنة والهرسك . ثم جاءت الاتهامات الأمريكية خلال عام ١٩٩٦ بوجود خبراء عسكريين وأسلحة إيرانية فى البوسنة وحث حكومة سراييفو على اجلائهم فى وقت نفت فيه طهران وسراييفو هذه الاتهامات . ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى دعوة إيران لتظاهرات شعبية عبر العالم الإسلامى ضد هدم الهندوس مسجد بابرى بالهند ، وكان ذلك تكرارا لدعوة الخمينى لتظاهرات إسلامية عام ١٩٧٩ عقب اتهامه الولايات المتحدة بأنها وراء اقتحام الحرم المكى ، مما أدى إلى الهجوم على سفارات وقنصليات أمريكية فى ستة بلدان إسلامية .

خاتمـــة :

نشير هنا إلى أن اتهام إيران بممارسة ودعم العنف السياسى لايقتصر على لعب أدوار فى دول أخرى ، وبـواسطة تنظيمات إسلاميـة راديكاليـة أخرى ، أو ضد أنظمـة حكم هذه الدول ، وإنما امتـدت أصابع الاتهام إلى الحكم الإيـرانى فى شأن اغتيال عـدد من المعارضين السيـاسيين واللاجئين الإيرانيين فى دول أوروبية وأمـريكية ، خاصـة اغتيال شهبور بختيار رئيس الوزراء السابق فى أغسطـس عام ١٩٩١ ، والدكتور كاظم رجوى فى كوبيه بسويسرا ، بالإضافة إلى اغتيال عدة قياديين للمجلس الوطنى للمقاومة الذى تقوده منظمـة مجاهدى خلق فى روما واسطنبـول ومدن أخرى . وقد اتهم مجاهـدو خلق إيران بالمسئولية عن هذه العمليات ، بينما نفـت ذلك الحكومة الإيرانية واعتبرتها تصفية حسابات فيما بين فصائل المعارضة الإيرانية .

وختامًـا ، فإنه رغـم أن الدلائل تشير إلى اتجاه عـام للبراجماتية ، وتغليب المصـالح الوطنية على الاعتبارات العقائدية فى عملية صنع السيـاسة الخارجية الإيرانية منذ رئاسة رفسنجانى للجمهـورية الإسلامية ، فإن استمرار الصراع بين المتشـددين والمعتدلين فى إيران ، ومواصلة المتشـددين ممارسة ضغوطهم على الحكم الإيـرانى ، ووجود من يعتبر دعم الحركـات الإسلامية الـراديكالية عبر العـالم - بين صفوف القيـادة الإيرانية - ورقة ضغط مفيـدة فى يد السياسة الخارجيـة الإيرانية خاصـة فى ظل استمرار العزلـة النسبية لإيران تجاه الغـرب فى ضوء استمـرار سريان فتوى إبـاحة دم سليمان رشـدى والتخوف الأمريكـى مما تعتبره الإدارة الأمـريكية الجديـدة جهود التسلـح غير التقليدى الإيـرانية ومساندتها الإرهاب عبر العالم ومعارضتها لعملية التسوية فى الشرق الأوسط ، كل هذه عوامل تدفع باتجاه عدم القدرة على التنبؤ بقـدر من التيقن حول مدى استمرارية ارتباط إيران بجماعات العنف السياسى داخل المنطقة وخارجها مستقبلا من عدمه ومدى هذا الارتباط وطبيعته ودرجته .

وحتى إذا ما امتنعـت إيران عن تقديم أى دعم مـن أى نوع - حتى ولو كـان معنويا فقط - للحركـات الإسلامية الراديكالية - وهو أمر مستبعد إلى حد ما - فإن بقاء الثورة الإسـلامية فى الحكـم فى إيران فى حـد ذاته يمثـل مصـدر إلهام للعديـد من الجماعـات الإسلامية المتطـرفة ، خاصة تلك الجماعـات ذات الطابع العنيف ، كما أن العـديد من هـذه الحركـات عبر العـالم الإسـلامـى تعتبر إيـران الملاذ والملجأ الأخير لها ، بعـد أن استعارت هذه الحركات اللغة والشعارات السياسية للثورة الإيرانية .

قائمــة بأهم المراجـع

الأجنبية :

- Afrachteh, Kambiz. " Iran " **In Politics of Islamic Reassertion.** Ed . Mohamed Ayoob, London : Croomhelm, 1981.
- Bakhash, Shaul. **The Reign of the Ayatollahs** , London : I.B. Tauris, 1985.
- The Constitution of the Islamic Republic of Iran. Tehran: Islamic Propagation Organisation, 1990.
- Djalili, Mohammad - Reza. **Diplomatie Islamique : Stratégie internationale du khomeynisme** , Paris : PUF , 1989.
- **El - Modjahid** (Algerie) , 21 Janvier 1992.

  Hunter, Shireen, " After the Ayatollah " Foreign Policy. Spring 1987.

  " Iran and the spread of Revolutionary Islam " . Third World Quartery. April 1988.
- **Ed. The Politics of Islamic Revivalism.** Bloomington : Indians University Press , 1988.
- An Interviw with Arif Husainy. **Third World Quarterly,** April 1988.
- Pipes, Daniel . **In the Path of God** . N.Y. : Basic Books , 1983.
- Rajaee, Farhang. **Islamic Values and World View.** Lanham: Univerity Press of America, 1983.
- Ramazani, R.K. " Khymayni's Islam in Iran's Foreign Policy ". in **Islam in Foreign Policy**. Ed. Adeed Dawisha. London : Royal Institute of International Affairs , 1983.
- "**Revolutionary Iran : Challenges and Responses in the Middle East.** Baltimore : John Hopkins University Press, 1987.
- Roy, Olivier. **L'echec de l'Islam Politique.** Paris : editions du Seuil , 1992.
- Tehran Times . 20 November 1991.
- Wright, Rubin. **In the Name of God : The Khomeini Decade** . London Simon and Schuster , 1989.

العربيـــــــة :

- خطـب آية الله الخامنئـى فى أسبوع الوحـدة الإسلامية لعـام ١٤١٠ هــ ١٩٨٩ م . طهران : منظمة الإعلام الإسلامى عام ١٩٨٩ .

- مجلة الشهيد الإيرانية : أعداد رمضان ١٤٠٠ هـ ، شوال ١٤٠٥ هـ ذى القعدة ١٤٠٥ هـ .

- فهمى هويدى . العرب وإيران . ذى القعدة ١٤٠٦ هـ القاهرة : دار الشروق ، ١٩٩١ .

- جريدة كيهان الإيرانية (الطبعة العربية) أعداد ١٦ ذى القعدة ١٤٠٥ هـ ويناير ١٩٩٣ م .

- د . وليد محمـود عبد الناصر. ثلاث دوائر إقليميـة فى السياسة الخارجية الإيـرانية ، القاهرة مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ، ١٩٩٦ .

الفصل الخامس

إيران نحو الحسم، التصعيد أم الاستمرار؟

حدثت تطورات متعددة ومتلاحقة خلال عقد التسعينات وقبل الانتخابات النيابية التى جرت فى مارس ١٩٩٦ ، فى إيران دفعت بهذا البلد مرة أخرى إلى قلب الأحداث ، وجرت هذه التطورات على أكثر من مستوى ، وفى أكثر من اتجاه . فقد تـزامنت محاولة اغتيال رفسنجانى أثنـاء إلقاء خطابه بمناسبة الذكـرى الخامسة عشرة لعودة الخمينى إلى إيـران فى فبراير ١٩٩٤ ، ثـم اسـتبدال شقيقه محمـد هـاشمى كـرئيس لجهاز البـث والإرسـال الإيرانـى بعلى لاريجانى وزيـر الثقـافة والارشـاد الإسلامـى السابـق ـ واحـد المقربين لمرشـد الثورة آية الله خـامنئى ، وقبل ذلك اضطـرابات المناطـق السنية فى شرق إيران خاصة مدينة زاهدان ومادار من حـديث حول تذمر فى صفوف المرجعيات الدينية الشيعية فى قم .

ورغم أن نظام الحكم الإيرانى قد تحرك فى اتجاه بندولى حول عدد من مسائل السياسة عبر السنوات الماضيـة ، واستخدم قادته ورمـوزه لغات خطابيـة سياسية متباينـة ، فقد اعتمـد ذلـك إلى درجـة مـا على السـاحة التـى يتحـدثـون فيهـا والمستمعين لخطـابهم السياسى . ولايوجد شك فى وجود خلافات فى صفوف الشخصيات السياسية والمثقفين ورجال الدين المؤيدين للنظام . ودار هذا الخلاف حول مسائل أساسية أحيانا ومسائل فرعية أحيانا أخرى .

وقد أوضحـت الأحداث التى تتنـاولها هذه الدراسـة أن هناك أمورا كثيرة مـازالت لم تحسم بعد فى صفوف الدولة والمجتمع والاقتصاد الإيرانى .

أولا : الأوضاع فى إيران قبل أحداث ١٩٩٣ و١٩٩٤ :

١ ـ الوضع الاقتصادى :

لقد كان الرئيس رفسنجانى يمر بعمليـة تنفيذ « إصلاحات » اقتصادية عميقة ، بما تضمنته مـن تحرير الأسعار وأسعـار الصرف ، وتحويل عدد مـن مؤسسات الـدولة إلى القطاع الخاص ، وتبنى سياسة انفتاح اقتصادى وتشجيع الاستثمار الأجنبى . كما سعى رفسنجانـى وحكومته إلى تطـوير علاقـات أفضل مع المؤسسـات التمويلية الـدولية ،

وإدماج إيران فى السوق العالمى . وقد نجح رفسنجانى فى إقناع المجلس (المحلى النيابى) فى ديسمبر عام ١٩٩٣ بزيادة أسعار الكهرباء ، وتخفيض كميات المياه الممنوحة مجانا ، كما أعلن عزمه على تحرير أسعار ٣١ سلعة خلال عام ١٩٩٤ . وقد أكد الرئيس رفسنجانى وعدد من كبار مساعديه ـ وفى مقدمتهم وزير الاقتصاد ـ فى أكثر من مناسبة على الأولوية التى توليها إيران لإعادة البناء . وأكد جواد لاريجانى رئيس لجنة العلاقات الخارجية فى البرلمان الإيرانى حينذاك (المجلس) أن أولويات إيران هى إعادة البناء ، ودعم القطاع الخاص، والسوق الحرة ، ومنح ضمانات للمستثمرين . وأعلن وزير الاستخبارات على فلاحيان من جانبه أن إيران ترحب بعودة أبنائها المقيمين بالخارج ، وأنه سيتم تجاهل أية سجلات أمنية سابقة ضدهم . وقد برز إرسال إيران نائب الرئيس محسن نورباخش على رأس وقد ضم رئيس البنك المركزى الإيرانى عادلى إلى اجتماعات صندوق النقد الدولى فى واشنطون فى سبتمبر عام ١٩٩٣[١] .

٢ ـ السياسة الخارجية :

وعلى جبهة العلاقات الخارجية ، كان الرئيس رفسنجانى يبدو فخورا بجهوده الناجحة لإعادة العلاقات مع المملكة العربية السعودية ، واعتبر ذلك عنصر استقرار فى المنطقة والعالم الإسلامى وفى أسواق النفط العالمية ، وكذلك إعادة العلاقات مع تونس والمغرب والأردن . كذلك تمكن رفسنجانى من تحسين العلاقات مع دول الخليج ، بما فى ذلك العلاقات الاقتصادية مع دولة الإمارات العربية المتحدة التى تم فتح خط بحرى بينها وبين إيران فى اكتوبر عام ١٩٩٣ ، رغم الخلاف بينهما على مسألة الجزر الثلاث . وقد سعى المعتدلون فى إيران إلى اعتبار هذا الخلاف موروثا عن عهد الشاه . كما يشيرون باستمرار إلى أن منطقة الخليج بأسرها تتسم بعدد من صراعات الحدود . وقد سعت إيران إلى أن تفسر جهودها التسليحية أمام دول الخليج باعتبارها تهدف إلى مواجهة أى تهديدات عراقية مستقبلية ضد إيران كما حدث فى السابق . ومن جانبها كانت إيران ـ ولاتزال ـ تشعر بالقلق تجاه الوجود العسكرى المكثف للولايات المتحدة فى الخليج وحوله . وحاولت ممارسة ضغوط على دول الخليج لإخراج « القوات الأجنبية » من الخليج إلا أن هذه الدول فسرت الوجود الأمريكى كضمانة لتحقيق الاستقرار فى المنطقة ومواجهة أية مغامرات مستقبلية هناك على غرار غزو العراق للكويت ، وليس فى ضوء منطق الحرب الباردة[٢] .

كذلك زاد التعاون الإيرانى مع كل من تركيا وباكستان ، خاصة فى إطار مجلس التعاون الاقتصادى . وكذلك طورت إيران ترتيبات تعاونية مع جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية ، واستمر التنسيق مع سوريا حول عدد من المسائل الإقليمية .

وفيما يتصل بالموقف تجاه المشكلة الفلسطينية فإنه رغم استمرار إدانة إيران لإسرائيل - خاصة فى إطار التضامن مع حزب الله فى لبنان واتهامها بدعم الإرهاب ، وانتهاك حقوق الإنسان فى الأراضى المحتلة وامتلاكها أسلحة نووية ، فإن إيران لم تتردد فى التقارب مع قطر التى زار وزير خارجيتها طهران فى نوفمبر ١٩٩٣ ، وذلك بالرغم من تطوير قطر اتصالات ولقاءات مباشرة مع إسرائيل ، والتحدث عن مشروعات تعاون ثنائية معها . كما تحدث رئيس لجنة العلاقات الخارجية بالبرلمان الإيرانى حينذاك عن الحاجة إلى « سلام واقعى » قائم على الإقرار بحقوق المسلمين والمسيحيين واليهود فى فلسطين ، بل وعرض لعب إيران دورا لتحقيق مثل هذا السلام . كما لاحظ المراقبون الرد المعتدل نسبيا لإيران على اتفاق غزة أريحا بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية فى واشنطون فى سبتمبر عام ١٩٩٣ الذى قصر هجومها على شخص الرئيس الفلسطينى عرفات ، واكتفاء وزير الخارجية الإيرانى ولاياتى فى خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ٤ أكتوبر عام ١٩٩٣ باعتبار الاتفاق مؤامرة ضد الإسلام وفلسطين . وذكر أمين المجلس الأعلى للأمن القومى الإيرانى حينئذ حسن روحانى فى ٢٢ سبتمبر عام ١٩٩٣ أن إيران لاتنوى اتخاذ أى إجراءات ضد الاتفاق أو التدخل ضد العملية السلمية .[٣]

ورغم استمرار القطيعة بين الولايات المتحدة وإيران ، فقد نجحت إيران خلال تلك الفترة فى تطوير علاقات تجارية واقتصادية وثيقة مع كل من اليابان وألمانيا وفرنسا ودول أوروبية وغربية أخرى . ونشير هنا إلى زيارة أمين عام وزارة الخارجية الفرنسية إلى طهران فى سبتمبر عام ١٩٩٣ ، وحديثه المتفائل عن مستقبل العلاقات الفرنسية الإيرانية . كما قام وزير الاستخبارات الإيرانى على فلاحيان بزيارة إلى ألمانيا فى أكتوبر عام ١٩٩٣ - رغم انتقاد الولايات المتحدة والمملكة المتحدة لها - ودعا إلى تعاون مع ألمانيا فى مكافحة الإرهاب وتجارة المخدرات . واعتبر فلاحيان إيران ضحية للإرهاب . وقد فسر بعض المحللين حرص إيران على التقارب مع اليابان وأوروبا الغربية بأن دافعه مواجهة أية ضغوط أو تهديدات أمريكية ، ولإظهار إيران كقوة اعتدال وتوافق فى المنطقة ، وداخل منظمة الأوبك[٤] .

وكان الرئيس الإيرانى رفسنجانى قد أدلى بحديث لصحيفة أمريكية ـ للمرة الأولى ـ فى إطار حملته الانتخابية للرئاسة عام ١٩٩٣ ، وعد خلاله بعلاقات مع الغرب على أسس عقلانية ، وتحدث عن هدف إعادة إدماج إيران فى المجتمع الدولى . إلا أن الرئيس رفسنجانى أعرب فى تصريح لاحق عن اعتقاده بأن الولايات المتحدة والغرب يشعران بالقلق تجاه دور إيران المنتظر فى عهد إعادة البناء (٥)

وحتى فيما يتصل بالولايات المتحدة الأمريكية ، فرغم ماذكره مرشد الثورة سيد على خامنئى سابقا من أن القطيعة مع الولايات المتحدة أزلية ، وأن إيران لن تتخلى عن نهج الخمينى رغم رغبة الولايات المتحدة فتح حوار مع إيران ، وهجومه حينذاك على الإيرانيين الداعين لمثل هذا الحوار ، فإنه عاد ليشير إلى إمكانية إنشاء علاقات مع الولايات المتحدة ولكن بشروط إيرانية .

وجاءت تصريحاته تلك عقب تلقيه رسالة من نائب إيرانى بارز هو سعيد رجائى خراسانى دعا فيها إلى علاقات أفضل مع الولايات المتحدة لأن ذلك سيؤدى إلى تحقيق منافع لإيران سواء مايتصل بإعادة موارد إيرانية مجمدة أو تدعيم دور إيران الإقليمى . كما طالب إمام جمعة طهران آية الله أردبيلى الإيرانيين بعدم اعتبار الولايات المتحدة مصدر كل مشكلات إيران . وذكر أن بعض هذه المشكلات هى من صنع الإيرانيين أنفسهم . وأعقب ذلك حديث الممثل الدائم لإيران لدى الأمم المتحدة السفير كمال خرازى عن إمكانية تأسيس علاقات مع الولايات المتحدة إذا قامت على أسس التفاهم والاحترام المتبادل وعدم الاستغلال . وخلال شهر مارس ١٩٩٤ طالبت صحف إيرانية الولايات المتحدة بإبداء دلائل على حسن نيتها تجاه إيران ، بما يشجع الأخيرة على فتح حوار معها . بل إن صحيفة كيهان انترناشيونال القريبة من المتشددين دعت إلى ضرورة فتح حوار مع الولايات المتحدة بما يحقق مصالح إيران . ومن جانبه أعلن مدير مكتب شمال الخليج بالخارجية الأمريكية رونالد نيومان أن الولايات المتحدة لن تتردد فى فتح حوار مع إيران ، إذا رغبت الأخيرة فى ذلك ، وكرر نفس المعنى مسئولون أمريكيون آخرون أرفع مستوى فيما بعد . كذلك ذكر إدوارد جورجيان مساعد وزير الخارجية الأمريكية أن إدارة الرئيس كلينتون لاتجمع بين إيران والعراق فى فئة واحدة ، وإنما تعامل كلا منهما على حدة (٦) .

وفيما يتعلق بالعلاقات مع المملكة المتحدة ــ التى تأثرت بفتوى آية الله الخمينى ضد الكاتب البريطانى الجنسية الهندى المولد سلمان رشدى ـ فقد التقى وزير الخارجية

الإيرانى ولاياتى بنظيره البريطانى دوجلاس هيرد فى نيويورك فى أكتوبر ١٩٩٣ وعبر عن تفاؤل نسبى تجاه مستقبل العلاقات بين البلدين (٧) .

وبصفة عامة ، كان آية الله إبراهيم أمينى إمام جمعية قم قد دعا إلى تطبيع علاقات إيران مع كل الحكومات الإسلامية ، وغير الإسلامية ، وعدم إعاقة تقدم هذه العلاقات وطالب بالأخذ فى الاعتبار التوازن الدولى الراهن للقوة والقدرات العسكرية والاقتصادية بدلا من التشبث بمواقف مبدئية مطلقة . وقد حرصت إيران على نفى ماورد بتقرير المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية عام ١٩٩٣ عن تطوير إيران لأسلحة نووية ووصفته بأنه دعاية مضادة وخرافات . كما ردت إيران من خلال ممثلها الدائم فى نيويورك على اتهامات مدير المخابرات المركزية الأمريكية لإيران بدعم الإرهاب وامتلاكها أسلحة نووية . وكرر السفير الإيرانى أن بلاده ضحية للإرهاب ، وأنها تتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية . وحرص رئيس لجنة العلاقات الخارجية بالبرلمان الإيرانى حينذاك ـ محمد جواد لاريجانى ـ على نفى أى دور لإيران فى عمليات العنف بمنطقة الشرق الاوسط أو بالعالم ، وإن أقر بالتأثير الفكرى لإيران ـ من خلال فكر آية الله الخمينى ـ على المسلمين فى كل مكان (٨) .

ونجد فى بيان وزير الخارجية ولاياتى أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى أكتوبر عام ١٩٩٣ انتقادا لازدواجية المعايير لدى مجلس الأمن عند التعامل مع مواقف متشابهة وتأثره بمصالح القوى الكبرى . ولكننا نجد فيه دعوة للتعاون الدولى فى مجالات القضاء على الفقر ، التحكم فى التسلح ، التنمية القابلة للإدامة وتحسين الأوضاع الاقتصادية فى الجنوب . وأبرز دور إيران كعنصر استقرار وأمن وتعاون فى المنطقة . وحرص على الإشارة إلى تحويل الصناعات العسكرية إلى أغراض مدنية ، والتركيز على التنمية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية فى إيران ، وعلى جهودها للوساطة فى كل من أفغانستان وتاجكستان (٩) .

ثانيا : تحليل خلفيات أحداث ١٩٩٣ و١٩٩٤ :

شهدت الشهور الأخيرة من عام ١٩٩٣ والشهور الأولى من عام ١٩٩٤ تطورات متلاحقة لم تضف بالضرورة إلى رصيد مسيرة الاعتدال والبراجماتية التى كانت الرئاسة الإيرانية تود إبرازها سابقا :

١ ـ مسألة العدالة الاجتماعية :

زاد التركيز على مسألة العدالة الاجتماعية خلال تلك الفترة ـ بما فى ذلك فى الصحافة الرسمية . وزادت التقارير حول الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة للطبقات الاجتماعية الدنيا والوسطى فى إيران ، والإشارات إلى ازدياد الفساد والسلوك الاستهلاكى الذى تسبب فيه جزئيا تحرير الاستيراد .

وجاء إفقار الطبقات الشعبية مقابل الإثراء المتزايد للبازار كإحدى نتائج سياسات التحرير الاقتصادى، وتزايد التضخم وتخفيض دعم السلع الأساسية . واستغل الراديكاليون هذه التطورات للإعراب عن الأسف لغياب القيم الثورية وأعربوا عن قلقهم تجاه التأثيرات الاجتماعية والثقافية السلبية لسياسات الانفتاح الاقتصادى خاصة انتشار المخدرات والانحلال الاجتماعى ، مما دعا إلى انحدار القيم الدينية . وأعرب هؤلاء عن الأسف لاستبدال الشعارات الثورية فى الشوارع وعلى الجدران بإعلانات تجارية ، ولتزايد أعداد رجال الأعمال الذين يركبون سيارات المرسيدس والكاديلاك الفارهة . ودعوا بالمقابل إلى اقتصاد مخطط والاكتفاء الذاتى وسياسة إحلال الواردات وإلى إنهاء التبعية على النفط . كما دعا رجل دين بارز هو آية الله جناتى الشباب الإيرانى إلى عدم ارتداء الأزياء التى تحتوى على شعارات « فاسدة » واستبدالها بشعارات سياسية ثورية . وقد أدى ارتفاع معدلات التضخم والبطالة كذلك إلى تظاهرات واضطرابات عمالية(١٠) .

٢ ـ الوضع الاقتصادى :

تزامن الوضع الاجتماعى الذى سبقت الإشارة إليه مع تزايد اعتماد إيران على تسهيلات تمويلية خارجية لتمويل استيراد سلع استهلاكية أساسية وسعى إيران إلى إعادة جدولة ٥ بلايين دولار من ديونها ـ نتيجة عجزها عن خدمة ديونها لمدةحوالى ١٨ شهر ــ التى يغلب عليها أن جزءا كبيرا منها ديون قصيرة الأجل ـ بعد أن تمكنت من إعادة جدولة ٥ ,٣ مليار دولار عام ١٩٩٣ . ويركز المسعى الإيرانى على أن تتم إعادة الجدولة بشكل ثنائى مع اليابان وفرنسا وألمانيا لتجنب اللجوء إلى صندوق النقد الدولى، والذى تعتقد إيران فى سيطرة الولايات المتحدة عليه . بل إن إيران اتهمت الولايات المتحدة بعرقلة جهود إعادة الجدولة الثنائية بغرض ممارسة ضغوط على إيران . وقد أدى فتح باب الاستيراد فى إيران إلى استنزاف لمواردها ، كما أن تقييد استيراد السلع

بعد ذلك أدى بـدوره إلى نقص فى مـدخلات التصنيـع المحلى ، مما زاد من معـدلات البطالة والتوترات الاجتماعية .

كما أدى انخفاض عائدات النفط وتزايد عجز الموازنه إلى ٨ بلايين دولار، ومشكلات ميزان المدفوعـات ، وتدنى سعر الصرف للـريال الإيرانى ، إلى معـاودة البرلمان الإيرانى النظر فى الميـزانية الجديدة لعـام ١٩٩٤ وتوقع انخفـاضها بمقدار ١٠٪ نتيجـة فقدان ٣,٥ بليون دولار بسبب انخفاض أسعار النفط . وأشـارت هذه التطورات بوضوح إلى أخطاء ، بل ومظاهر فشـل فى سياسة الرئيس رفسنجانى الاقتصاديـة ، رغم أن الرئيس وأنصاره أشاروا إلى عـوامل اجتماعية وأيديولوجيـة وسياسية تعيق سياستهـم الإصلاحية . ولمواجهة تلك المعوقات كان الرئيس الإيرانى قد أعلن عن عزمه على تحجيم الامتيازات الممنوحـة لأسر شهداء الثـورة والحرب مع العـراق ، بما فى ذلك المعـاشات والخدمـات الصحية والتعليمية . وكان الـرئيس الإيرانى قد فشل فى رفع أسعـار الخبز بسبب اندلاع التظاهرات ضد هذا القرار وتدخل آية الله خامنئى مرشد الثورة لإيقاف تطبيقه (١١) .

وقـد تحدثت صحيفـة طهـران تايمـز شبـه الـرسمية فى افتتـاحيتهـا فى ١١ اكتوبـر ١٩٩٣ عن وجود فسـادين مالى وإدارى بإيران ، وحذرت مـن خطرهما على الثورة . كما أقرت الصحيفة بوجود مصاعب اقتصـادية ، ولكنها حثت شركاء إيران التجاريين على مواصلة التعاون معها معتبرة أن الصعوبات هى ظاهرة مؤقتة .

وحاولـت الصحافـة الإيرانيـة الرسميـة الإشارة المتكـررة خلال تلـك الفترة إلى سوء الأوضاع الاقتصاديـة فى إيران قبل الثورة ، والتحـديات التى فرضـت على الثورة فى هذا الإطار ، وكذلك إلى العزلة بين الفقة الشيعـى ومشكلات الدولة قبل الثورة . وانطلقت من هناك إلى إبراز أن ١٥ عاما من الثورة ليسـت فترة كافية لتحقق الثورة أهدافها فى كل المجالات . ونفت تلك الصحـافة أن تكون الثورة الإيرانية قد ادعت أنها أقـامت بالفعل المجتمع الإسلامى المثالى . (١٢) ويمكننا النظر إلى هذه المقالات بـاعتبارها محاولة لإحياء أو تنشيط حماس الشعب الإيرانى ـ خاصة الشرائح الاجتماعية الدنيا ـ للثورة .

٣ ـ الحالة السياسة الداخلية :

يجدر بنا أن نتـذكر أن الـرئيس رفسنجانـى كان هو الـذى ساعـد فى حصول اليمين الإسلامى على غالبيـة مقاعد البرلمان فى انتخابات ابريل/ مـايو عام ١٩٩٢ . وعمد إلى التخلص من مناوئيه الراديكاليين مثـل حجة الإسلام على اكبر محتشمى وزير الداخلية

السابـق . وهدف مـن وراء ذلك إلى تـأمين الدعـم لسياستـه للانفتـاح الاقتصادى ، خـاصة أن مـرشـد الثورة سيـد على خـامنئى كـان يبـدو مؤيـدا لـلاتجاهات الليبراليـة الاقتصاديـة للرئيس رفسنجـانى . إلا أن مؤيدى الليبراليـة الاقتصادية فى البرلمان كـانوا أيضا أصحـاب توجهات محافظـة فى المجالين الاجتماعـى والثقافى ، وبالتـالى مناقضين لتوجهات الرئيس ذات السمة الليبرالية أيضا فى هذين المجالين ، وطالبوا بتدخل الدولة « لضبط » سلوك الأفراد ، وللحفاظ على الأخلاقيـات العامة . بل إن هذا البرلمان وهو مشابه جدا للبرلمان الذى انتخب فى مارس ١٩٩٦ ـ وعلى عكس ما كان متوقعا ـ رفض عددا من ترشيحات الرئيس رفسنجانى لعدد من الحقائب الوزارية بمن فى ذلك محسن نوربـاخش لمنصـب وزير الاقتصـاد ، مما اضطـر رفسنجانـى إلى تعيينه نـائبا للـرئيس بصلاحيات الإشراف على الاقتصاد . وتزامن ذلك من جهة مع تزايد نفوذ رجال الدين ذوى التـوجهات المحـافظة ، خـاصة فى الحوازات العلميـة بقم ، وهـم حملة السلطـة الدينيـة التقليدية ، وليسـوا فقط معاديـن لليسار ، بل أيضـا لديهم قلق تجاه أى نـزعة تغييرية ، ومن جهـة أخرى مع عودة بـروز رموز راديكالية تعـارض من الأصل برنـامج الليبرالية الاقتصـادية مثل رئيـس الوزراء السابق ميرحسين مـوسوى . ولايفوتنـا هنا أن نذكر أن رجل الدين البارز آية الله محمد يـازدى قد تعرض فى أكتوبر عام ١٩٩٣ لتقديم تعريـف « تقييدى » لمدى الحرية فى إطار النظـام الإسلامى معلقـا على محاكمات جرت لصحفيين فى مجلة « فـرض » الإيرانيـة . وتضمن هـذا التعريـف تحريم إثـارة « مسائل خلافية » فى الصحافة (١٣) .

٤ ـ العلاقات الخارجية :

عانت إيـران خلال عامى ١٩٩٣ و١٩٩٤ مـن عدد من المشكلات ظهـرت بشكل متزامن ـ أو متقارب ـ فيما يتصل بعلاقاتها مع بقية دول العالم . فقد تدهورت العلاقات مع تركيا فجأة بعد قصف الطيران الحربى التركـى أراضى إيرانية فى إطار مطاردة الجيش التركى لقواعـد حزب العمال الكردستانى . وجـاء ذلك أيضا على خلفية اتهامـات تركية سابقة لإيران بـدعم حزب العمال الكردستانى المعارض تنظيمات إسـلامية تتبنى العنف فى تركيا . ثم برزت أزمة مع الأردن على إثر طلب الأخيرة من إيران سحب ٢١ من أصل ٢٦ دبلوماسيـا إيرانيا بعمان . ورغم الـرد الإيرانى الهادئ على هذا الإجـراء فقد أعاد إلى الـواجهة تقـارير حـول شكوك أردنيـة فى ارتباط إيـران بتفجيرات دور سينما فى عمان ، واغتيال دبلوماسى أردنى فى بيروت . وهو ماعزز اتهامات دول إسلامية أخرى حينذاك

ـ خاصة مصر والجزائر ـ لإيران بالتدخل في شئونها الداخلية من خلال دعم تنظيمات إسلامية متشددة تتبنى العنف السياسى رغم نفى مسئولين إيرانيين رسميين لهذه الاتهامات . وتلا ذلك ظهور اتهامات من قبل الرئيس الأفغانى ربانى لإيران بدعم محور رئيس الوزراء قلب الدين حكمتيار / والجنرال الشيوعى السابق عبد الرشيد دستم المناهضين له ، رغم نفى تلك الاتهامات أيضا من قبل إيران . كذلك واجه عرض إيران بالتوسط بين الهند وباكستان لحل نزاع كشمير رفض الهند بسبب اعتبار الهند مسألة كشمير مسألة داخلية ، ولقلقها تجاه الموقف الإيرانى حول هذه المسألة الذى اعتبرته قريبا من موقف باكستان . إلا أن الأبرز فى مجال تدهور علاقات إيران الخارجية جاء فى إطار إحياء الخلاف حول فتوى آية الله الخمينى بإحلال دم سلمان رشدى . فقد أعاد الباسدران (الحرس الثورى) تأكيد صحة الفتوى واعتبرها غير قابلة للنقض . ثم ذكر تعليق لوكالة أنباء الجمهورية الإسلامية (ارنا) أن رشدى يجب أن يقتل ـ حتى ولو أعلن توبته ـ وأنكرت كون الفتوى بإحلال دمه أمرا سياسيا بل اعتبرتها مسألة دينية محضة . ثم جاء إعادة تأكيد مسئول إيرانى رسمى آخر باستمرار صحة فتوى آية الله الخمينى فى ١٤ فبراير عام ١٩٩٤ ، على لسان محمد جواد لاريجانى رئيس لجنة العلاقات الخارجية بالبرلمان حينذاك ، ردا على دعوة رئيس الوزراء البريطانى جون ميجور لإيران بإلغاء هذه الفتوى ، وذلك فى الذكرى الخامسة لإصدارها ـ مذكرا بما سببته هذه الفتوى من ضرر للعلاقات الإيرانية / الغربية . وقد عاد رئيس البرلمان حينئذ على ناطق نورى ليؤكد واجب كل مسلم بقتل سلمان رشدى وتنفيذ الفتوى ، وإن دعا الدول الغربية لعدم جعل هذه الفتوى تضر بعلاقاتها مع إيران . وقد ردت الخارجيتان الأمريكية والنرويجية بإدانة هذه التصريحات . ونذكر أنه قد سبق ذلك استقبال كل من الرئيس الأمريكى كلينتون ورئيس الوزراء البريطانى ميجور فى مراحل سابقة لسلمان رشدى ، وإدانة إيران للقاءين وتصريح رئيس المحكمة العليا آية الله يازدى فى ٢٦ نوفمبر عام ١٩٩٣ الذى هاجم كلينتون واتهمه بالجهل لاستقباله رشدى .
كذلك شاب العلاقات مع سويسرا بعض التوتر من جراء اعتقاد السلطات السويسرية بتورط إيران فى عملية اغتيال د . كاظم رجوى شقيق زعيم منظمة مجاهدى خلق إيران المعارضة فى كوبيه بسويسرا عام ١٩٩٠ ، واحتجاج سويسرا على تسليم فرنسا المتهمين الرئيسيين فى القضية إلى إيران[١٤] .

ثالثا أحداث ١٩٩٤ وأبعادها :

١ ـ أحداث مدينة زاهدان :

كانت قد سرت فى مدن شمال شرق وجنوب شرق إيران ذات الوجود السنى المكثف روايات عن تدمير السلطات الإيرانية لمسجد سنى فى مدينة مشهد . وكانت مدينة مشهد قد شهدت اضطرابات عام ١٩٩٢ أدت إلى مصرع ٩ أشخاص ، واتهمت قوات الأمن بالتسبب فى التصعيد كما كان قد تم إغلاق مسجد سنى بمدينة زاهدان .

وفى بداية عام ١٩٩٣ توفى رجل الدين السنى البارز أحمد زاده عقب اعتقاله من قبل السلطات الإيرانية ، واتهم بعض الإيرانيين السنة السلطات الإيرانية بدس السم لزادة . وقد أدت هذه الروايات فى زاهدان فى جنوب شرق إيران إلى خروج تظاهرات هاجمت مبانى حكومية وسيارات عسكرية ، مما أدى إلى مصرع اثنين من رجال الأمن وإصابة ٣٠ مدنيا . وهاجم مسلحون حافلة مما أدى إلى مصرع ٤ واختطاف ٣ عسكريين خاصة بعد نفى زعيم سنى فى زاهدان هو مولاى عبد الحميد اتهامات الحكومة الإيرانية قوى أجنبية وخارجية بالتسبب فى تدمير مسجد « فيض» السنى . كما أثارت تصريحاته تظاهرات فى زاهدان وخاش وإيران شاه . وتلا ذلك قيام قوات الأمن باعتقال مسلحين واتهامهم بالاضطلاع بعمليات تهريب مخدرات عبر إيران إلى اوربا وهجوم الحرس الثورى على مسجد سنى بالمدينة فى محاولة لاعتقال بعض المصلين المتهمين بإلقاء خطب معادية للثورة خلال الصلاة . وأثار ذلك حفيظة السنة أكثر. ثم هاجم مسلحون اتهمتهم السلطات الإيرانية بأنهم لصوص ـ قافلة قرب زاهدان مما أدى إلى مقتل ٤ أشخاص .

وقد ربطت السلطات الإيرانية بين هذه الأحداث ، وبين المخابرات المركزية الأمريكية ، والمخابرات الإسرائيلية (الموساد) ــ وهو أمر درجت هذه السلطات على اللجوء إليه فى السابق فى حالة حدوث قلاقل داخلية ، أو مظاهر معارضة . كما ربطت بين تلك الأحداث وما أسمته بمحاولات تسميم جو الاحتفالات بالعيد الخامس عشر للثورة الإيرانية . كذلك ربطت بين تلك الأحداث وبين المهربين الذين أغضبهم تشديد الإجراءات الأمنية على الحدود الشرقية لإيران. وفسرت إحراق المسجد السنى فى مشهد بأنه محاولة لإحداث فتنة طائفية فى إقليم خراسان .

وقد ارتبط السنة فى هذه المناطق من إيران تقليديا بباكستان وأفغانستان ، نظرا للارتباط التاريخى بالبلوش . كما أن المعارضة السنية فى إيران لها ممثلون فى بيشاور

بباكستان واتصالات مع بعض فئات المجاهدين الأفغان خاصة الحزب الإسلامى بزعامة رئيس الـوزراء قلب الدين حكمتيـار ، بل وتلقت بعـض عناصرها المسلحة تـدريبا فى معسكرات الحزب الإسـلامى. وكـان هذا سببا عـام ١٩٨٤ فى حدوث أزمـة بين إيران وحكمتيـار وإغلاق مكـاتب الحزب الإسـلامى فى طهـران . كما ظهرت اتهامـات غير رسميـة بعد أحـداث زاهدان عـامى ١٩٩٣ و١٩٩٤ مـوجهـة لحكمتيار بـأنه يشجـع الاضطرابات فى إقليمى بلوشستان وسستـان وتشجعهما على الانفصال عن إيران ويزود عصابات تهريب المخدرات هناك بالسـلاح . وربما كان اتهام حكمتيار بدعم المعارضة السنية المسلحة فى إيـران أحد أسباب تحفظ إيـران على دعم خطة السلام التـى عرضها حكمتيار فى فبراير عام ١٩٩٤ بشأن أفغانستان ، وذلك على الرغم من زيارة حكمتيار السابقة لإيران فى نوفمبر عام ١٩٩٣ .

كما تلقى عدد كبير من أبناء المعارضة السنية السياسية والمسلحة فى إيران تعليمهم فى باكستان . وأشارت بعض التقارير الصحفية إلى أن عـددا من هؤلاء أيضا كان قد تلقى تدريبات وتمويلا من العراق فى مرحلة سابقة (١٥) .

وقد حـرصت السلطـات الإيرانية على إخـراج تظاهرات شعبيـة فى كل مـن زاهدان ومشهد لإعلان التأييد للثورة الإيرانية قادها رجال دين هناك (١٦) .

ومع إدراكنا بأن أحداث زاهدان وغيرها من مدن شمال شرق وجنوب شرق إيران كان لها أبعاد اجتماعيـة وطائفية وعـرقية ، خاصـة فيما يتصل بالسنـة الذين يشكلـون حوالى ١٠٪ من سكـان إيران ، فإن هـذه الأحداث قد شكلت تحديـا لمصداقية ادعـاء النظام الحاكم فى إيران بأنـه يرتكز على حكم إسلامى لايفرق بين السنـة والشيعة . وجاء ذلك متزامنا مع تأكيد الراديكاليين الشيعـة على وجودهم من خلال الاحتفالات فى فبراير عام ١٩٩٤ بذكرى ميلاد الإمـام الثانى عشر ، وتكثيف العلاقات مـع شيعة العراق ولبنان ودول الخليج العربية ، وهى دول تنظر بقلق لهذه الأنشطة الإيرانية . كذلك اتجه أولئك الراديكـاليون الشيعـة إلى التركيز على الطبيعـة الشيعية للثـورة الإيرانيـة . وعقد فى هـذا الإطـار مؤتمر حـول الفقة الإسـلامى لأهـل البيـت ارتكزت المشـاركة فيـه على الحوزات الشيعية من مختلف دول العـالم . وتزامن ذلك أيضا مع عقد مؤتمر حـول التقاليد الأدبية واللغوية الفارسية دعيت إليه الجمهوريات الإسلامية المستقلة فى آسيا الوسطى (١٧) .

ورغم تحدث البعـض عن تقسيم السيطرة بين مختلـف الجماعات العرقيـة فى إيران : سيطرة الفـرس على الحكومـة ، والأتراك (الازاريين) على الاقتصـاد ، مع منـح بعض

المناصب الهامة فى الجيش والحرس الثورى (الباسدران) والسلطة التنفيذية لممثلين للأقليات خاصة الأقليتين التركية والعربية ، فإن موقف الأقليات بصفة عامة يتسم بعدم الرضا خاصة البلوشستان والسستان والكرد ، وأيضا عرب خوزستان . وضمن أسباب ذلك عدم اعتراف الدستور الإيرانى بالأقليات العرقية . وكان تقرير سابق للمجلس الأعلى للأمن القومى الإيرانى قد اقترح منح مزيد من السلطات للأقاليم وتعيين قيادات هذه الأقاليم من بين سكانها الأصليين (١٨) .

وقد ربط بعض المراقبين بين أحداث زاهدان وبين اختفاء رجل الدين المسيحى الإيرانى القس هالك هوسبيان مهر ـ والذى سرت شائعات بأنه تم اختطافه ـ ثم اكتشاف جثته بواسطة السلطات الإيرانية عقب اختفائه بأسبوعين . وكان القس مهر يتزعم طائفة بروتستانتية ، وسبق له المطالبة بحرية التعبير فى إيران . كما ذكرت أسرته أنه شعر بخطر على حياته بعد جهوده لجذب اهتمام المجتمع الدولى لحالة قس آخر تحول من الإسلام إلى المسيحية . وقد تبادلت منظمة مجاهدى خلق المعارضة والحكم الإيرانى الاتهامات بتصفية مهر (١٩) .

٢ ـ محاولة اغتيال الرئيس رفسنجانى :

جرت محاولة الاغتيال خلال إلقاء الرئيس رفسنجانى خطابا أمام قبر آية الله الخمينى فى الذكرى الخامسة عشرة لوصول الخمينى إلى طهران فى أول فبراير ١٩٩٤ . وذكر المتهم الأول فى محاولة الاغتيال فى البداية أنه لم يهدف من وراء إطلاق النار إلى اغتيال رفسنجانى ، بل إلى مجرد إثارة الذعر بين المستمعين عاليه ، ثم تحولت اعترافاته للكشف عن محاولة الاغتيال . وقد أثارت محاولة الاغتيال رد فعل أساسيا تمثل فى إحياء الخطاب الثورى الذى ظن البعض أنه كان قد غرب زمانه . فقد اتهم القائمون بالاعتداء بأنهم عملاء قوى استكبارية دولية ـ مع إشارة خاصة إلى المخابرات المركزية والموساد ـ وذلك كما حدث تجاه أحداث زاهدان السابق الإشارة إليها . وتم تعبئة مئات الآلاف فى الشوارع وفى ميدان ازادى (الحرية) بطهران ، بمن فى ذلك العاطلون عن العمل وعائلات شهداء الثورة والحرب مع العراق ضد ما أسمته أجهزة الإعلام ـ خاصة الإذاعة والتليفزيون ـ بالمؤامرة الأمريكية ضد الاسلام . وتم دفع هؤلاء المتظاهرين لإطلاق شعارات ضد إسرائيل وضد الولايات المتحدة وللإعراب عن رفضهم لاية تسوية مع من أسموهم بأعداء الثورة و « المنافقين » (فى إشارة إلى منظمة مجاهدى خلق إيران المعارضة) . وتم الربط بين محاولة الاغتيال وأحداث زاهدان واعتبارهما نتيجة

لعدوان خارجى ومؤامرة غـربية . كذلك تحدث وزير الاستخبارات على فلاحيـان عن القبض على ٤٠ جـاسوسـا عراقيًا دخلـوا إيران منذ مـارس عام ١٩٩٣ و ١٠ أخـرين اتهموا بتـدبير انفجارات . وأشـار إلى تهريب ٢٤ قنبلة إلى داخـل إيران تـم تفجير أربع منها . وذكـر فلاحيـان أن أحد المتهمين العشريـن فى محاولة الاغتيـال كان على اتصـال بسفارة أجنبية ، وذلك لإلقاء تبعة العمليـة على قوى أجنبية . إلا أن جهات أمنية أخرى فى وزارة الداخلية نفت وجود أدلة على تورط قوى خارجية فى محاولة الاغتيال ، مما أوحى بوجود صراع داخلى فيما بين مختلف أجهزة الأمن الإيرانية .

وقد أعلنـت مجموعـة سرية أطلقـت على نفسها اسـم « الضباط الأحـرار فى الحرس الثورى » مسئـوليتها عـن محاولة الاغتيال . ولم تكـن تلك هـى أول محاولة اغتيـال ضد الرئيس رفسنجـانى . فقد سبق إصابتـه فى انفجار عام ١٩٨١ الذى اتهمـت به منظمة مجاهدى خلـق ، كما أن نفس المجمـوعة المكونـة من ٢٠ شخصـا التى اعتقلـت عقب محاولة الاغتيالفـى فبراير ١٩٩٤ قد اعترفت بأنها قد حـاولت اغتيال الرئيـس عدة مرات بعد توليه الرئاسة منها مرة خلال إمـامته لصلاة الجمعة بحرم جامعة طهران ، إلا أنها لم تقـدم على التنفيذ . وكـانت هـذه المجموعـة قـد أعلنت قبـل ذلك سبعـة شهور عـن اشتباكات بين عناصرها وعناصر من الاستخبـارات الإيرانية . كذلك اتضح أن منظمة سرية أخرى باسم « بابك الخرمى » قد حاولت قبل ذلك بعام اغتيال الرئيس رفسنجانى خلال مرور موكبه بأحد شوارع طهران(٢٠) .

وقد نفت السلطات الإيرانية أن يكون المتهم الأول فى محاولة الاغتيال عضوا فى الحرس الثورى ، وإن ذكـرت أنه حاول الانضمام إليه فى السـابق عدة مرات دون جـدوى . وتم اتهام المجموعة بـأنها من المنحلين أخلاقيا ومـدمنى المخدرات ، وبالارتبـاط بجماعات يسارية ، ومايسمى « بالإرهابيين اليسـاريين » الموالين للولايات المتحدة ، وهى اتهامات كانت توجه لجماعات معارضة فى السابـق كمجاهدى خلق إيران . وتم اتهام المجموعة التى قـامت بمحاولـة الاغتيال بالعداء لـلإسلام والثورة . ويجدر بنـا هنا أن نشير إلى أن صحيفة « سلام » المقـربة من المتشددين أثـارت شكوكا حول مصداقيـة محاولة الاغتيال ضد الرئيس رفسنجانى ، فى إشارة ضمنية إلى أن هـذه المحاولة من تدبير أنصار الرئيس بغرض زيادة شعبيته (٢١) .

وجاء رد فعل الرئيس رفسنجانى تجاه محاولة الاغتيال مثيرا للاهتمام ، فقد ألقى خطابا يتصـف بقدر مـن التشدد أمـام مئات الآلاف مـن الإيرانيين فى ميـدان ازادى(الحرية)

بطهران فى ١١ فبراير عام ١٩٩٤ مدينا ما أسماه بعـدوان القوى الأجنبية ضد الجمهورية الإسلامية ، وهاجم « إمبريالية » وسائل الإعلام الغربية التى اتهمها بالترويج لأكاذيب عن الوضع الـداخلى فى إيران . وأكد أن إيران لاتدعم الإرهاب ، بـل هى ضحية له ، واتهم الغرب بـازدواجية المعايير والحديـث عن حقوق الإنسـان مع تجاهل انتهـاكها فى البوسنة والهرسـك وفى فلسطين ، مشيرا إلى رفض الغرب عرض إيـران إرسال ١٠ آلاف جندى إلى البـوسنة . وألقـى على القوى الأجنبية والمؤامـرة الغربيـة مسئوليـة المشكلات الاقتصادية التى تـواجهها إيران ، ومسئولية انخفاض سعر النفـط ، وأشار رفسنجانى إلى انخفـاض اعتماد إيران على النفـط وتحقيقها الاكتفـاء الذاتـى فى الغذاء و٩٠ ٪ مـن السلع الاستهلاكية ، وكل مدخلات الإنتاج المحلى ، بما يجعلها لاتحتاج للعالم الخارجى . وأطلق رفسنجانى ـ وكذلك إمام جمعية طهران ـ على القائمين بمحاولة الاغتيال ضده لقب عملاء القوى الاستكبارية الكبرى التى تهدف للنيـل من الوحدة الوطنية للشعب الإيرانى . وأعاد تأكيد استعداد إيران لدفع ثمن حريتها واستقلالها . وفى مناسبة لاحقة أكد الرئيـس رفسنجانى نية إيران فى الحصـول على أسلحة متقدمة ، رغم مـا أبدته دول غربية مـن قلق تجاه المشتريات العسكرية الإيرانيـة ورغم أنه ـ خلال لقـائه مع السفراء الأجانب فى طهـران فى ١٠ فبراير عام ١٩٩٤ ـ أكـد حرص إيران على تطويـر علاقات صداقة وتعاون مع كافة دول العالم ـ بـاستثناء الولايات المتحدة و إسرائيل ـ وسعى إيران لحل كافة المشكلات العالقة فى المنطقة أو فى العالم ، وتركيزها على إعادة البناء لمشروعات البنية الأساسية والطاقة والكهرباء والزراعة وتقليل اعتمادها على النفط . ولكنه جدد فى هـذا اللقـاء مـع السفـراء الهجـوم على الولايـات المتحـدة و إسرائيـل بقـوة . كما عـدل رفسنجانى عن مطالبه بتخفيض الامتيازات الممنوحة لعائلات شهداء الثورة والحرب مع العراق ، والتقى بممثلى عـائلات الشهداء ، واعتبرهـم ركيزة الثـورة وحراس إنجازاتها . وأعرب عن التقدير لتضحياتهم ، وأن الثورة لن تنسى ماقدموه (٢٢) .

وشهدت نفس الفترة تصعيـد إيران دورها فى الخليج ، فقامت بمنـاورات عسكرية ضخمة فى الجزء الشمالى مـن الخليج فى ١٥ فبراير عـام ١٩٩٤ . وبدأت إذاعـة طهران الحديث عن تبنى موقـف متشدد إزاء جزيرة أبو موسى المتنازع عليهـا مع دولة الإمارات العربية المتحدة ، وأسمتها جـزيرة إيرانية جنوبية . كما أن شخصية إيرانيـة معتدلة مثل الدكتور على أكبر ولايـاتى وزير الخارجية قد انتقـد العقوبات الأمريكية المفـروضة ضد إيران . كما هـاجم أمين المجلس الأعلى للأمـن القومـى الإيرانـى الولايـات المتحدة فى خطاب لـه بمدينة قـم فى الأسبوع الأول من فبرايـر عام ١٩٩٤ ، وانتقد النظـام الدولى

أحادى القطبية ، مشيرا إلى فشل السياسة الأمريكية . واتهم الولايات المتحدة بمحاولة الوقيعة بين إيران ودول أوربية واليابان . ورحب بانخفاض أسعار النفط فى السوق العالمى باعتباره يدفع إيران إلى إنهاء التبعية للنفط ، وزيادة الصادرات غير النفطية ، إلا أنه تحدث بشكل إيجابى عن العلاقات مع السعودية . وعاد بعض رجال الدين للإشارة إلى أن عودة العلاقات مع الولايات المتحدة ستزيد المشكلات الداخلية لإيران واعتبروا حل الموضوعات المختلف عليها مع الولايات المتحدة من المستحيلات[٢٣] .

٣ ـ بروز نجم وزير الداخلية بشارتى فى تلك الفترة :

جاءت أحداث زاهدان ومحاولة اغتيال الرئيس رفسنجانى فى وقت كان وزير الداخلية الإيرانى على محمد بشارتى المؤيد للرئيس ، والمعروف حينذاك باعتداله يدعم فيه سلطاته على أجهزة الأمن . وكان قد أقسم على محاربة الفساد فى صفوف قوات الأمن ، وسعى إلى توحيد مختلف أجهزة الأمن تحت مظلة وزارته ، فيما فهم أنه إشارة إلى تلك الوحدات التى تدين بالولاء المباشر لقائد الثورة ومرشدها آية الله خامنئى ـ مستغلا فى ذلك وجود نفوذ له فى صفوف الحرس الثورى (الباسد ران) . وقد طالب بشارتى قوات الأمن باحترام ثقافة الشعب الإيرانى . وجاءت تلك الدعوة عقب وفاة امرأة إيرانية فى طهران نتيجة شجار دار بينها وبين أحد أعضاء اللجان الثورية الإيرانية بخصوص زى المرأة . وقد سبق ذلك تعيين الرئيس رفسنجانى بشارتى رئيسا لمجلس أمن الدولة ، كما عهد إليه بمهام خارجية ، خاصة فيما يتصل بلبنان والاتصالات مع حزب الله . وقد وجد بشارتى نفسه فى موقف التصادم مع وزارات أخرى فى إطار محاولته لتعزيز سلطاته وتوسيع نطاقها ـ خاصة مع وزير الاستخبارات فلاحيان الذى كان مسئولا من قبل عن الأمن الداخلى . ورغم أن محاولة الاغتيال ربما كانت مبررًا لتوجيه الانتقاد لوزارة الداخلية وقصور أجهزتها الأمنية ، فإنه تم استخدامها لتعزيز سلطات تلك الأجهزة ، خاصة أن محاولات اغتيال سابقة ضد شخصيات قيادية فى الحكم قد استخدمت كمبررات لإحكام سيطرة الحكم وتصفية المعارضين بوصفهم أعداء الله والإسلام . وبالفعل ، فقد زاد الوجود الأمنى فى زاهدان وجنوب شرق إيران عقب أحداث زاهدان تحت شعار مكافحة تهريب الأسلحة والمخدرات[٢٤] .

٤ ـ استبدال شقيق الرئيس بعلى لاريجانى فى رئاسة هيئة البث والإرسال الإيرانية :

كان قرار مرشد الثورة آية الله خامنئى فى ١٣ فبراير عام ١٩٩٤ باستبدال محمد

هاشمى ـ شقيق الـرئيس رفسنجانى ـ فى رئاسة هيئة البث والإرسال الإيـرانية التى تدير الإذاعة والتليفزيون بعلى لاريجانى وزير الثقافة والإرشاد الإسلامى وشغل منصب الأخير بواسطـة مصطفى مير سـالم حلقة جـديدة فى إطـار التغييرات الحكوميـة ذات الطبيعة السياسية فى إيران . . ومن الشائع أن لاريجانى معروف بأنه من المقربين لآية الله خامنئى وأنه من المحـافظين فى المسائل الثقافية . وكـان من قبل مسئول الاستخبـارات بالحرس الثورى وله خبرة فى مجالات الأمن والـرقابة ، مما نبأ بالتوجه الجديـد لهيئة البـث والإرسال الإيرانيـة . كما عرف عنه تحريـم عمل النساء كسكرتيرات فى وزارة الثقـافة خلال تـوليه حقيبتها ، والفصل بين الرجال والنساء فى مكاتب الوزارة .

وكان هاشمـى قد دافع فى الماضى عـن وظيفة ترفيهية ـــ وليس مجرد دينية ـ لـلإذاعة والتليفـزيون . وفى ديسمبر عـام ١٩٩٣ ، أدخـل محطة تليفـزيـون ثالثـة تبـث برامـج موسيقية ومسرحية ورياضية بغرض ترفيهى مؤكدا أن البرامج الترفيهية لاتجذب الشباب بعيدًا عن الإسـلام . واعتبر ذلك استجابة لتوجيهـات للرئيس رفسنجانــى بأن الشباب يحتاج إلى الترفيه بجـانب التوجيه الـدينى . وكان الرئيـس رفسنجانى قد سمـح للنساء بالغناء فى إطار فرق الغناء الجماعى ، كما سمح بفتح أنـدية فيديو خاصة فى مارس عام ١٩٩٣ ، مبررا ذلك بمحاربـة تجارة السوق السوداء فى شرائط الفيديـو الغربية ، وهما قراران أثارا حفيظة اليمين الإسلامى المحافظ .

وكان تقـرير لجنـة برلمانيـة ضمت عضويـن من المقـربين لمرشد الثـورة خامنئـى قد هاجمت هاشمى متهما إياه بالترويج للقيم والثقافة الغربية من خلال برامج التليفزيون ، كما اتهم أعضاء بالبرلمان هذه البرامج بأنها ضد الثورة وغير ذات صلة بالإسلام . وانتقد التقريـر هاشمى لسماحـه لعناصر من المعـارضة باختراق جهـاز التليفزيون الإيـرانى . وكـان الرئيـس رفسنجانـى قد أوكـل إلى شقيقه بعـض المهام فى إطـار إجراء اتصـالات خارجية مثل زيارته لألمانيا فى سبتمبر عام ١٩٩٣ (٢٥) .

وقد أشار آية الله خامنئى نفسه إلى أوجه قصور فى أداء الإذاعة والتليفزيون فى خطاب إقالته لمحمد هاشمـى ، ومنح بالمقابل الرئيس الجديد للهيئـة سلطات إضـافية ، ودعاه لجعل الهيئة قاعدة للـدعاية الثقافية ضد الاستكبار والقهر ومـواجهة الحمـلات المعادية للثورة الإسـلامية والمسلمين عبر العالم . وكذلـك دعاه للتقارب مع المدارس القـرآنية ، وسمح لـه بإذاعـة الموسيقى التقليـدية الإيرانيـة فقط ، واعتبر مـا دون ذلك مـن أنواع الموسيقى « حرامـا » و « مفسدة » . وتم توقع تصاعـد النغمة المعادية للثقافـة الغربية ـ

وربما الغرب بصفة عامة ــ فى وسائل الإعلام الإيرانية . كما تم توقع فرض مزيد من الرقابة على تلك الأجهزة (٢٦) .

ويمكن تغيير قرار الاستبدال هذا كانتزاع لأجهزة البث والإرسال الإعلامى من الرئيس رفسنجانى ، علما بأن هذه الأجهزة هى الذراع الأساسية للدعاية للحكم ، ويعتبر بالتالى ضربة جديدة من اليمين الإسلامى المحافظ للرئيس رفسنجانى ودليلا على تصاعد سلطات آية الله خامنئى بالمقارنة بالرئيس رفسنجانى .

٥ ـ تصاعد التذمر فى صفوف رجال الدين فى قم :

فى وقت صعد فيه الراديكاليون غير الدينيين من انتقاداتهم لتراكم ثروات بعض رجال الدين من وراء مؤسسات الشهداء والمستضعفين ، واعتبروا ذلك دافعا لعدد متزايد من المسلمين للتراجع عن ممارسة شعائر الإسلام ـ بل وحتى عن الإيمان بالإسلام ـ اتهم عدد من كبار رجال الدين الشورة بسلب سلطاتهم واستقلالهم الدينى والسياسى لصالح الحكومة المركزية التى يسيطر عليها بعض ممثلى الشرائح الصغرى أو الوسطى من رجال الدين . كما أن وجود آية الله منتظرى ــ الخليفة السابق لآية الله الخمينى فى قم وتحول المدينة منذ ربيع عام ١٩٩١ ـ حين وجه الرئيس العراقى صدام حسين ضربة إلى مدينة النجف ـ إلى مركز السلطة الروحية الشيعية ، وبروز منتظرى بدوره كمؤهل لتولى سلطات دينية أرفع . أدى إلى ظهور القلق على مرشد الثورة خامنئى الذى سعى إلى فرض سيطرته على الحوزات العلمية فى قم . وكان قد دعا فى خطاب وجهه إلى مدرسى تلك الحوزات فى أكتوبر عام ١٩٩٢ إلى ارتباط الحوزات بالدولة ، مشبها إياها بحالة الأزهر الشريف فى مصر ، وهو أمر يعتبر بدعة فى الحالة الشيعية ، نظرا لتاريخ استقلال مؤسسة رجال الدين عن الدولة . وقد أثارت رسالة خامنئى مخاوف وردود فعل سلبية من جانب عدد من الملالى نتيجة قلقهم من هيمنة الدولة على الحوزات . ورد آية الله منتظرى بالتحذير من أن يكون مصير حوزات قم كجامعة دينية مماثلا للجامعات الدينية فى العالم السنى التى فقدت استقلالها وتحول المدرسون فيها إلى موظفى حكومة ، وتحولت إلى تبرير ممارسات السلطة السياسية فى تلك البلدان (٢٧) .

إلا أن آية الله يازدى ـ رئيس المحكمة العليا حينئذ ـ قد طالب عقب وفاة آية الله قلبياجانى العظمى عام ١٩٩٤ بجعل آية الله خامنئى المرجع الوحيد للتقليد لكافة الشيعة . وقد أيد وجهة النظر تلك رئيس البرلمان (المجلس) حينذاك على نورى . وعلى الجانب الآخر ، استعدت تلك التصريحات آية الله جناتى ـ عضو مجلس الأوصياء ـ وآية

الله امينى وكلا من جمعية مدرسى الحوزات العلمية بقم ، وجمعية أئمة الجمعة بطهران ، وآية الله مشكينى إمام جمعة قم ، ودفعتهم إلى إعلان تأييدهم لآية الله محمد اراكى ليتبوأ درجة آية الله عظمى . ودعوا إلى التفرقة بين القيادة السياسية للفقيه ومرجعية التقليد(٢٨) .

وقد أبرزت هذه التطورات تصاعد حدة القلق تجاه محاولات رجال الدين الذين يتولون سلطات رسمية فى الدولة بطهران إنهاء استقلالية المؤسسة الدينية ـ خاصة فى قم ذات التأثير الشعبى الواسع والتى مازال بها شخصيات ذات ثقل سياسى وجماهيرى مثل آية الله منتظرى ، وهى شخصيات تستطيع انتقاد الدولة بحرية متمسكة بحصانة موقعها الدينى والفقهى وبوجودها خارج السلطة .

٦ ـ دور المعارضة فى الخارج :

رغم الاتهامات الضمنية التى وجهتها أجهزة سياسية وإعلامية موالية للسلطة فى طهران لمنظمة مجاهدى خلق إيران الموجودة بالخارج ، فإن المنظمة لم تعلن مسئوليتها عن محاولة اغتيال الرئيس رفسنجانى ، أو عن اضطرابات مدينة زاهدان . إلا أن المنظمة قد استغلت هذه الأحداث لمحاولة تعبئة أنصارها والجماهير داخل إيران للإخلال باستقرار الحكم تمهيدا لإسقاطه . واعتبرت حوادث زاهدان دليلا على التمييز الدينى ضد السنة فى ظل النظام الحالى الذى اتهمته بتدمير مساجد السنة . وأشارت إذاعة المجاهدين إلى حدوث تظاهرات فى إقليم خراسان ضد الحكم . وعقب محاولة اغتيال رفسنجانى ، دعت المنظمة الشعب الإيرانى للثورة وتدمير مراكز القوة والأجهزة القمعية للنظام الحاكم . كما عمدت إلى استغلال الأحداث الداخلية لصالح دعم شعبيتها ومصداقيتها أمام الشعب الإيرانى من خلال تنظيم مناورات عسكرية فى بدايات ومنتصف فبراير ١٩٩٤ على الحدود العراقية / الإيرانية بمشاركة آلاف من مقاتلى جيش التحرير الوطنى التابع للمنظمة ، ومدرعات ومدفعية وطائرات هليكوبتر وراجمات صواريخ . ورغم نجاح الإذاعة التابعة لمجاهدى خلق نسبيا . فى الترويج للمنظمة داخل إيران وانتقال مريم رجوى ـ الرئيسة القادمة لإيران حسب منظمة مجاهدى خلق إيران طبقا لانتخابها من قبل المجلس الوطنى للمقاومة الإيرانية فى أغسطس عام ١٩٩٣ ـ وهو انتخاب أعلن عنه فقط فى أكتوبر عام ١٩٩٣ ـ إلى باريس للعمل فى ظل إجراءات أمنية فرنسية مشددة ، فإن الكثيرين يأخذون على مجاهدى خلق بداياتها التى اتسمت بتبنى العنف السياسى ، وهو ماعادت إليه عقب نزولها إلى

العمل السرى عقب يونيو عام ١٩٨١ ، مما أثار حفيظة قطاعات من الشعب الإيرانى ضدها ، وكذلك وجود قاعدتها وقيادتها فى العراق خلال الحرب العراقية / الإيرانية باعتبار هذين العاملين ينالان من شعبية المنظمة فى صفوف الجماهير الإيرانية كبديل سياسى للحكم القائم . كما يشير عدد من المراقبين إلى أن المنظمة تبدو تحت رحمة الحكم العراقى ، نظرا لوجود قياداتها وكوادرها وقواتها المسلحة بالعراق ، وإنه إذا حدث تقارب بين النظامين الحاكمين فى طهران وبغداد ، فإن الصفقة قد تتضمن التضحية بمنظمة مجاهدى خلق (٢٩).

رابعا : خاتمة :

إذا كان كل من محاولة اغتيال الرئيس رفسنجانى ، وأحداث مدينة زاهدان قد ألصقت بقوى أجنبية وعملائها وتم تفسير هدفهما بأنه محاولة لإظهار وجود حالة من عدم الرضا الشعبى تجاه نظام الحكم، فإن هدفا أخر لتلك الأحداث ــ طبقا لمسئولين إيرانيين (٣٠).

كان العمل لتأجيج الخلافات بين المعتدلين والمتشددين فى صفوف الدوائر الحاكمة فى إيران . وسواء نجحت تلك الأحداث فى تحقيق هذا الهدف من عدمه ، فإن هذه الخلافات تبقى مفتوحة على كل الاحتمالات ونذكر هنا أن كافة الفرقاء فى إيران مازالوا يلجئون إلى أقوال آية الله الخمينى وممارساته لإضفاء شرعية ، وبالتالى الحصول على دعم لمواقفهم وآرائهم ، ويتهم كل طرف مخالفيه فى وجهات النظر بخيانة نهج الخمينى .

ولاشك أن هناك الكثير من الصحة فى إعلان الرئيس رفسنجانى عقب محاولة اغتياله بأن المحاولة هدفت إلى إحداث هزة فى ثقة الناس بالثورة . إلا أن الوجه الآخر لهذا الإعلان هو أن محاولة الاغتيال وماسبقها أو صاحبها أو تلاها من تطورات قد مثلت اختبارا لمدى تماسك الحكم الإيرانى ومدى شعبية وقوة الرئيس الإيرانى ذاته .

وسواء قرر الرئيس رفسنجانى ـ خاصة فى ضوء نتائج انتخابات مارس ١٩٩٦ النقابية التى لم يحقق أنصاره الأغلبية خلالها ــ رغم تحالفهم مع عناصر من اليسار الإسلامى داخل السلطة الإيرانية ـ بل نال الأغلبية مرة أخرى اليمين الإسلامى التقليدى والمحافظ ـ العمل على توحيد صفوفه وأنصاره مع واحدة أو أكثر من المجموعات المشاركة فى الحكم ــ حتى ولو دفعه ذلك إلى تقديم تنازلات تتصل بمسائل سياسية أو

اقتصاديـة أو ثقافية أو اجتماعيـة ، تمثل تراجعا عـن مواقفه أو نيـاته السابقـة ، أو قرر الرئيـس مواصلة تنفيـذ سياساتـه رغم المعوقـات المطروحة مـن جهات متعددة ــ سواء داخليا أو دوليا ، فإن هذا سيبقى أيضا سؤالا مفتوحا على كل الاحتمالات .

وربما كـان تشدد الـرئيـس الإيرانـى ـ عقـب محاولـة اغتيالـه ــ و إحياؤه للخطـاب السياسـى الثورى ، والهجـوم الشديـد على الولايـات المتحدة لخدمـة أحد هـدفين ـ أو الاثنين معا ــ : إخفاء الصراعـات والخلافات الموجـودة داخل صفـوف الحكم أو على الأقل عدم تصعيدها ، أو الحيلولة دون المزايـدة عليه فى حالة نيته م اتخاذ بادرات إيجابية تجاه الولايـات المتحدة فى المستقبل والتـوسع فى اتجاهـاته للانفتـاح الاقتصادى ، وربما الثقافى والسياسى أيضا .

ولاشك أن الثورة الإيرانية تقف منذ أحداث عامى ١٩٩٣ و١٩٩٤على مفترق طرق هام وبارز قـد يكون حاسما أيضا . وقـد أقرت صحف شبه رسميـة إيرانية [٣١] بوجود خلافات فى صفـوف كل من المثقفين والسيـاسيين فى إيران حـول ما إذا كـانت الثـورة الإيرانية قد أنجزت بالفعل مرحلة بناء الدولة ومؤسساتها وتحقيق الاستقرار، أم إنها لم تزل دون اجتياز هذه المرحلة .

الهوامـــش

(١) IRAN FOCUS, October 1993, pp. 2,5.

انظر أيضا : IRAN FOCUS, November 1993, P.5.

ـ عبد الحسن الأمين « تحولات اللغة السياسية بعد ١٥ سنة على الثورة الإيرانية . الحياة ١١ فبراير عام ١٩٩٤ . ص ١٨ .

ـ مجلة الوسط ، ١٤ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٢٩,٧ ـ أحمد سلامتيان . « الثورة الإيرانية تسحقها تناقضاتها . لوموند دبلوماتيك . يونيو ١٩٩٣ ص ٩ (باللغة الفرنسية) .

(٢) IRAN FOCUS, November 1993, P.5.

انظر أيضا :

ـ محمد الرميحى . « إيران الدولة بعد ١٥ عاما على الثورة » . الحياة ١٦ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ١٥ .

ـ محمد حسن البحرانى « الدبلوماسية الإيرانية ومحاولات الحصار الأمريكى » كيهان العربى ١٢ فبراير عام ١٩٩٤ . ص ٤ .

ـ عبد الحسن الأمين . مصدر سبق ذكره . ص ١٨ .

(٣) IRAN FOCUS, November 1993, PP. 14 - 15.

- IRAN FOCUS, December 1993, P.5.

انظر أيضا :

ـ خير الله خير الله . « إيران تتغير » . الحياة ٣٠ فبراير عام ١٩٩٤ . ص ١٥ .

ـ عبد الحسن الأمين . مصدر سبق ذكره . ص ١٨ .

(٤) - IRAN FOCUS, November 1993, P. 13.

ـ انظر أيضا :

- IRAN FOCUS, October 1993 , P. 5.

ـ مجلة الوسط ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

ـ الرميحى ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥ .

(٥) سلامتيان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩ .

انظر أيضا : مجلة الوسط ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

(٦) IRAN FOCUS, November 1993, P. 13.

انظر أيضا :

(٧) - IRAN FOCUS, December 1993, P.2.

ـ إذاعة الشرق (باريس) . ١ ـ ٧ مارس عام ١٩٩٤ .

ـ جريدة الحياة . بعض أعداد يناير ، فبراير والأسبوع الأول من مارس عام ١٩٩٤ .

ـ عبد الحسن الأمين ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨ .

(٨) كيهان العربى . ٥ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٢ ، وعدد ١٢ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٣

انظر ايضا :

- IRAN FOCUS, November 1993, P.10

ـ عبد الحسن الأمين ، مصدر سبق ذكره ص ١٨ .

(٩) IRAN FOCUS, November 1993, P.15.

(١٠) « الثورة تجتاز مرحلة البلوغ » . افتتاحية كيهان العربى . ١٢ فبراير عام ١٩٩٤ .

انظر أيضا :

ـ الحياة . ٤ فبراير عام ١٩٩٤ .

ـ الوسط ، مصدر سبق ذكره ص ١٨ ، ١٩ ، ٤٠ .

ـ « إيران : عملية صعبة لتحرير الاقتصاد بعد ١٥ عـاما على ثورة المحرومين » . الحياة . ٣٠ يناير عام ١٩٩٤ . ص ٤ .

ـ وضاح شرارة ، « إيران : طوق العمامة » الحياة . ١٨ فبراير عام ١٩٩٤ . ص ١٧ .

(١١) الوسط ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

انظر أيضا :

ـ الحياة . ٣٠ يناير عام ١٩٩٤ ز ص ٩ ، وعدد ٤ فبراير عام ١٩٩٤

ـ « إيران » عملية صعبة لتحرير الاقتصاد . . « مصدر سبق ذكره ، ص ٤ .

ـ شراره ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧ .

- MIDDLE EAST ECONOMIC SURVEY (Mees) , 10 17,24 January 1994.

(١٢) كيهان العربى . ١٢ فبراير عام ١٩٩٤ .

انظر أيضا :

- IRAN FOCUS, November 1993, P. 2.

(١٣) الوسط . مصدر سبق ذكره ، ص ١٨ .

انظر أيضا :

- IRAN FOCUS, November 1993, PP. 9 - 10 .

- IRAN FOCUS, October 1993, P. 5 .

ـ الحياة . عددا ١٥ و ١٦ فبراير عام ١٩٩٤ .

ـ سلامتيان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩ .

(١٤) - MIDDLE EAST INTERNATIONAL. 4 December 1992, PP. 3 - 5 .

انظر أيضا :

IRAN FOCUS, DECEMBER 1993, P. 2

AFP, 11 Fevrier 1994.

ـ الحياة ، ١٦ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٤ .

ـ كيهان العربى ، ٥ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٢ .

(١٥) الوسط ، مصدر سبق ذكره . ص ١٧ ـ ٣٠ .

انظر أيضا :

ـ الحياة . ٤ فبرايرعام ١٩٩٤ ، وعدد ٧ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٤ .

ـ حازم صاغية ، « المأزق الشامل » ، الحياة ، ٨ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ١٥ .
- IRAN FOCUS, December 1993, P.2 .
(١٦) الوسط ، مصدر سبق ذكره . ص ٢٠ .
(١٧) كيهان العربى . عددى ١ و ١٢ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ١ ـ ٣
- MIDDLE EAST INTERNATIONAL,
مصدر سبق ذكره ، ص ٢ ـ ٥ .
(١٨) الحياة ، ٤ فبراير عام ١٩٩٤ .
انظر أيضا : الوسط ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩ ـ ٢٠ .
(١٩) منظمة مجاهدى خلق إيران . نشرة مجاهد ، عدد ١٥ فبراير عام ١٩٩٤ .
(٢٠) الحياة ، ٩ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٨ ، وعدد ٤ فبراير عام ١٩٩٤ وعدد ٢ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ١
انظر أيضا :
ـ القدس ، ١٢ ـ ١٣ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٢ .
ـ كيهان العربى ، ١٢ فبراير عام١٩٩٤ ، ص ٤ .
(٢١) الحياة ، ٩ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٨ .
(٢٢) المصدر السابق ، ص ٨ .
انظر أيضا :
ـ كيهان العربى ، ١٢ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ١ , ٥
ـ القدس ، ١٢ ـ ١٣ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٢ .
(٢٣) عبد الحسن الأمين ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨ .
انظر أيضا :
ـ الحياة ، فبراير عام ١٩٩٤ .
ـ كيهان العربى ، ٥ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٢ .

(٢٤) IRAN FOCUS, October 1993 , PP, 10 - 11 .
انظر أيضا :
- IRAN FOCUS, November 1993, P.10.
- IRAN FOCUS, December 1993, P.2.
ـ حازم صاغية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤ .
ـ الوسط ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨ .

(٢٥) - IRAN FOCUS, December 1993, PP. 2, 11.
انظر أيضا :
- IRAN FOCUS, October 1993, P. 2.
- INTERNATIONAL HERALD TRIBUNE, 14 February 1994 and 15 February 1994.
- FINANCIAL TIMES, 14 February 1994.

INTERNATIONAL HERALD TRIBUNE, OP, CIT (٢٦)

مصدر سبق ذكره .

انظر أيضا :

- FINANCIAL TIMES,

مصدر سبق ذكره . انظر أيضا : كيهان العربى ، ١٩ فبراير عام ١٩٩٤ .

MIDDLE EAST INTERNAL, 4 February 1994, P. 19. (٢٧)

انظر أيضا : سلامتيان ، مصـ در سبق ذكره . ص ٩ .

MIDDLE EAST INTERNAL, 4 February 1994, P. 19. (٢٨)

" IRAN : Daring to Say No. " The Economist 12 February 1994 , PP. 40 - 42. (٢٩)

انظر أيضا : الحياة ٧ فبراير عام ١٩٩٤ . و٢ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ١ .

(٣٠) الوسط ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

(٣١) « الثورة تجتاز مرحلة البلوغ » ، مصدر سبق ذكره ، ص ١

الخـــاتـــمة

أثبتت أحداث الحالة الإيـرانية وتطوراتها أنه من جهة ، قد تولـدت تناقضات بمرور الوقـت بين التزامـات عقائدية معلنـة ذات نزعة ثـورية ، وبين السلـوك الفعلى سواء فى السياسة الداخليـة أو الخارجية ، وإنه على صعيد الممارسات العملية ، تـدخلت أحيانا اعتبارات المصلحـة القومية الإيرانيـة للحد من هيمنة النـزعات الأممية الإسلاميـة ، ومن جهـة أخرى استمـرت الأفكـار فى تشكيل إطـار عـام يحد أحيـانا مـن مـدى الواقعيـة والبراجماتية ، اللتين قد تتمتع بهما بعـض القيادات السياسية ـ بل والدينيـة ـ خاصة أن هناك أمـورا أظهرت الممارسـة صعوبـة إبداء المرونة فيهـا نتيجة اتصـالها مباشرة بـأحكام وتوجهات عقـائدية . فرغـم أن الـدلائل أشارت فى مرحلة مـا إلى اتجاه عام للبراجماتية ، وتغليب المصـالح الـوطنية على الاعتبارات العقـائدية فى عملية صنـع السياسـة داخليا وخارجيا ـ خـاصة منذ تولى الرئيس على أكبر هـاشمى رفسنجانى مقاليد السلطـة ـ فإن أحداث السنوات الماضية تـوحى بأن المسائل لم يتم حسمها بعـد بهذه السهولة ، وإن الأمور لاتـزال تتحرك فى اتجاه بندولى . وقد دل على ذلـك تحرك الحكم الإيرانـى بشكل بندولى حـول عدد مـن مسائل السيـاسة والاقتصـاد والثقافـة والمجتمع عبر السنـوات الماضية ، واستخـدام رموزه لغات خطـابية سياسية متبـاينة ، اعتمادا على الساحـة التى يتحـدثون فيهـا والمستمعين إلى خطابهم السيـاسـى ، دون أن يعنى ذلـك إنكار وجـود تباينات فى صفوف النخبة السياسة والثقافيـة والدينية فى داخل الحكم الإيرانى . وتدور هذه التباينات حول مسائل أساسية أحيانا ومسائل فرعية أحيانا أخرى .

وسيحدد المستقبل مدى تصاعد ، أو تسويـة ، أو حسم ، أو تمحور هذه التباينات على جبهات متعددة وطبقا لأنماط تحالفات متغيرة . كما سيرتبط نجاح التجـربة الإيرانية بمدى تحقيـق الانسجام بين الصيـاغات النظـرية ، والعمـل السياسـى ، ومدى تجاوز المشكلات التـى يتعين عليها مواجهتهـا والتعامل معهـا محليا وإقليميا ودوليـا ، ومدى الإرتباط بين الولاء الفكرى والعمل السياسى فى مواجهة القضايا الأكثر إلحاحا فى الواقع

الإيرانى . وستجيب الأيام القادمة عما إذا كان النظام الذى أفرزته الثورة الإيرانية سيقدم على اجراء تغييرات ــ سواء ذات طبيعة استراتيجية أو تكتيكية ــ تتصل بمسائل سياسية ، أو اقتصادية ، أو ثقافية ، أو اجتماعية بشكل يمثل تراجعا عن نيات أو مواقف سابقة ، أو إذا كان قد قرر مواصلة تنفيذ مابدأه من سياسات رغم المعوقات النابعة من داخله أو المفروضة عليه من جهات متعددة - محليا أو إقليميا أو دوليا - وهو ماسيكون سؤالا مفتوحا على كل الاحتمالات . وبالتالى ، فإنه سيكون من الهام أن نترقب ماستأتى به الأيام القادمة فى إيران من إجابات على أسئلة طرحتها الأحداث السابقة والراهنة ، حول قضايا عديدة منها ماهو داخلى وماهو خارجى ، ولكن سيكون لها جميعا أثر بالغ يتعدى حدود النطاق المحلى ، أو الإقليمى .

ونحن ندرك تماما الصعوبات العملية المحيطة بأى محاولة للتوصل إلى استنتاجات ذات طبيعة شاملة أومطلقة من دراسة تجربة الثورة الإيرانية بما ينطبق على حالات أخرى فى بقية أنحاء العالم الإسلامى . فالتجربة الإيرانية تتم فى إطار معطيات محلية معينة وفى ظل بيئة اجتماعية وسياسية وخلفية تاريخية أهم مايميزها الخصوصية الشيعية لإيران - بما فى ذلك مركزية دور رجال الدين - والأحداث المتلاحقة منذ الثورة الإيرانية ضد الشاه ونظامه .

نبذة عن المؤلف

ـ حصــل على درجة الدكتواره فى العــلاقات الدولية مــن جامعة جنيف ، وكــان قد حصل على درجتى البكــالريوس والماجستير فى العلوم السيــاسية من الجامعة الأمــريكية بالقاهرة .

ـ صدر له عام ١٩٩٤ كتاب بالإنجليــزية بعنوان « الحركة الإسلامية فى مصر : رؤى للعلاقات الدوليــة (١٩٦٧ ـ ١٩٨١) » عن دار كيجان بول بلندن ومعهـد الدراسات الدولية بجنيف .

ـ كما صدر له بــالعربية عام ١٩٩٣ كتاب « إيران : صعود وهبـوط التيار الإسلامى التقدمى » عن دار المستقبل العربى بالقاهرة .

ـ وصدر له بالعربية أيضا عام ١٩٩٥ كتــاب « جات العالم الثالث : النظام الشامل للأفضليات التجارية فيما بين الدول النامية» .

ثم صدر له فى عام ١٩٩٦ كتاب « مانـديلا وجنوب أفريقيا : بين الماضى والحاضر» عن دار المستقبل العربى بالقاهرة .

ــ وأخيرا صدر لـه بــاللغتين العربيــة والانجليزيــة كتــاب « ثلاث دوائر إقليميــة فى السياســة الخارجية الإيرانية» عــام ١٩٩٦ أيضا عن مركـز الأهرام للدراسات السيــاسية والإستراتيجية بالقاهرة .

ــ وللمؤلـف دراسات منشــورة فى بعــض الصحف الــدوريــات باللغــات العربيــة والإنجليزية والفرنسية حول العديد من القضايا الإقليمية والدولية المطروحة على الساحة المعاصرة .

الفهـــرس

رقم الإيداع : ٩٣٠٥/٩٧
الترقيم الدولى : ٩٧٧ ـ ٠٩ ـ ٠٣٨٨ ـ ٤

مطابع الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت : ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

إيران

دراسة عن
الثورة والدولة

□ يعتبر هذا الكتاب - وبحق - مساهمة ذات قيمة وفائدة حقيقيتين - وفى هذا الوقت بالذات - لمساعدة القارئ على فهم سيرة الثورة الإيرانية فى أبرز معالمها وأهم محطاتها، انتهاء بوصول حجة الإسلام محمد خاتمى إلى سدة الرئاسة الإيرانية. ولا يقتصر هذا الفهم على القشور، بل يتعمق فى أغوار الأحداث ليحللها ويربطها ببعضها البعض معتمدا عى منهج موضوعى وعلمى.

□ وقد تناولت العديد من الكتابات الثورة الإيرانية وتاريخها وتطوراتها، ورغم كثرة ما كتب عنها فإن الكثير من جوانب هذه الصورة مازال بعيدا عن تناول أيدى الباحثين. وضمن تلك الجوانب شخصيات لعبت أدوارا رئيسية سواء فى الإعداد للثورة أو فى قيادتها أو فى المراحل التى تلت انتصارها، وكذلك التطورات المتلاحقة التى جعلت إيران فى قلب الأحداث منذ عقد ونصف من الزمان، ومازال الأمر محل جدل عما إذا كانت الثورة الإيرانية قد أنجزت بالفعل مهام بناء الدولة ومؤسساتها ومعالم سياستها الداخلية والخارجية، أم أنها لم تجتز هذه المرحلة بعد؟

□ ويمثل هذا الكتاب فى مجموعة - وبكل ما يحويه من دراسات - محاولة علمية وموضوعية وملتزمة فى آن واحد، لاستكمال حلقة جديدة من حلقات فهم الثورة الإيرانية وما تبعها من تحولات، سواء على مستوى الفكر أو الأحداث، وانعكاساتها على الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية.

دار الشروق
القاهرة ١ شارع سيبويه المصرى - ت ٢٣٣٩٩ ٤ - فاكس ٣٧٥٦٧ ٤ ٠٢
بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس ٨١٧٧٦٥ ٠٠١